# مجنون ليلى

أمير الشعراء أحمد شوقي

**مجنون ليلى**

**أمير الشعراء أحمد شوقي**

**الطبعة الأولى 2025**

**رقم الإيداع: ؟؟؟؟ / 2025**

**الترقيم الدولي: 0 – 00 – 000 – 603 – 978**

**دار نوتة للنشر**

**جميع حقوق النشر محفوظة للناشر**

**يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.**

**إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر**

# مجنون ليلى

## أمير الشعراء أحمد شوقي

# تمهيد

**زمن الرواية**: صدر الدولة الأموية.

**مكان الرواية**: بادية نجد.

**أشخاص الرواية**:

**قيس**: مجنون ليلى.

**ليلى**

**المهدي**: أبو ليلى.

**ورد**: زوج ليلى.

**ابن عوف**: أمير الصدقات في الحجاز وعامل من عمال بني أمية.

**زياد**: راوية قيس وصديقه.

**منازل**: غريم قيس في حب ليلى.

**بشر**: رجل من بني عامر.

**ابن ذريح**: شاعر من شعراء الحجاز.

**نصيب**: كاتب ابن عوف.

**سعد**: رجل من بني عامر.

**الغريض**: مغن مشهور.

**ابن سعيد**: شاعر.

**أمية**: رفيق ابن سعيد.

**الأموي**: شيطان قيس.

**عضرفوت، هبيد، عسر، عاصف**: شياطين.

**بلهاء**: جارية قيس.

**عفراء**: جارية ليلى.

**سلمى، هند، عبلة**: فتيات من بني عامر.

**رجال، قوافل، حداة، صبية، فتيات**

# الفصل الأول

(ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر - مجلس من مجالس السمر في هذه الساحة - فتية وفتيات من الحي يسمرون في أوائل الليل، وفي أيدي الفتيات صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون — تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح)

**ليلى :**

**دعي الغزْلَ سلمى وحَيِّي معي  منارَ الحِجَازِ فَتَى يَثْرِبِ** [1]

(تصافحه سلمى)

**ويا هِنْدُ هذا أديبُ الحِجازِ  هلمِّي بمَقْدَمِهِ رَحِّبِي**

(تصافحه هند ويحتفي به السامرون)

**سعد :**

**أمن يثربٍ أنت آتٍ؟**

---

1 - يثرب: المدينة المنورة.

**ابن ذريح :**

**أجل من البلدِ القُدُس الطيِّب**

**ليلى :**

**أيابنَ ذَريحٍ لقينا الغمام**

**هند :**

**وطَافتْ بنا نَفَحَاتُ النبي**

**عبلة** (هامسة إلى سعد) :

**مَن ابْنُ ذَريحٍ؟**

**سعد :**

**فـــــتًـــــى ذِكـــــرُه على مَشرِق الشمس والمغرب**

**رَضيعُ الحُسَيْنِ عليه السلامُ وتربُ الحُسَيْنِ من المكتبِ**

**عبلة** (إلى بشر ومشير إلى ابن ذريح) :

**أتسمَعُ بشـــرُ رضـــيعُ الحُسَيْنِ فديْتُ الرضيعيْن والمُرضعهْ**

**وأنـت إذا مـا ذكرنـا الحسـينَ تصـــــامـمـــــتَ!**

بشر (هامسًا ومتلفتًا كأنما يخشى أن يسمعه أحد) :

**لا جاهلًا موضِعَهْ**

**ولكـن أخـــاف امـرأً أن يرى ... عليَّ التشـيُّع أو يَســمَعَهْ**
**أحِـــــــبُّ الحسـينَ ولكنَّـمَا ... لسـاني عليـه وقلبـي معهْ!**
**حَبَسْـتُ لسـانيَ عـن مدحـه ... حِـذارَ أميَّـةَ أن تقطعـه**
**إذا الفتنـةُ اضطرمـتْ في البـلاد ... ورُمْتَ النجـاةَ فكُن إمَّعهْ!**

ليلى :

**إبـنَ ذريـحٍ نحـن في عُزْلَـة ... فهل على مُسْـتفهِمٍ منك باسْ؟**
**دارُ النبـيِّ كيـف خلَّفْتَها؟ ... كيف تركتَ الأمرَ فيها يُسـاسْ**

ابن ذريح :

**تركتُها يا ليلَ مَضبوطـة ... يحكُمُهـا والٍ شـديدُ المراسْ**
**إن حديثَ الناس في يثربٍ ... همسٌ وخطوَ الناس فيها احتراس**

ليلى :

**إبـنَ ذريـح لا تَجُرْ واقتصِدْ ... أحـــلامُ مَـرْوانَ جبالٌ رَواسْ**
**يـؤسِّسُون المُلْكَ في بيتهم ... والْعُنْفُ والشـدةُ عند الأسـاس**

(تتضاحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى)

فتاة :

ليلى على دينِ قيسٍ فحيثُ مال تميلُ!
وكلُّ ما سرَّ قيسًا فعند ليلى جميلُ

ابن ذريح :

ما الذي أضحك مني الظَّبياتِ العامريَّهْ
ألأَني أنا شِيعِيٌّ وليلى أمويَّهْ؟
إختلافُ الرأي لا يُفْسدُ للود قضيَّهْ

ليلى :

أعِرْني سماعَك يابنَ ذريحٍ ولا تسمَعِ الطفلةَ الهاذيَهْ
أتَيْتَ لنا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالَمَ الباديَهْ
أكنتَ من الدور أو في القصور ترى هذه القُبَّةَ الصافيَهْ؟
كأن النجومَ على صدرها قلائدُ ماسٍ على غانيَهْ

هند :

كفى يابنةَ الخال! هذا الحريرُ كثيرٌ على الرِّمَّة الباليَهْ
تأمَّلْ تر البيدَ يابن ذريح كمقبرةٍ وَحْشَةٍ خاويَهْ
سئمنا من البيدَ يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيَهْ

ومن مُوقدِ النار في مَوْضِعٍ ومن حـــالب الشـاة في ناحيَهْ
وراغيـةٍ مـن وراء الخيـام تُجيـبُ مـن الـكَلأ الثاغيَـة [2]
وأنتـم بيثـربَ أو بالعـراق أو الشـام في الغُـرَف العـاليَهْ
مُغنِّيكمـو مَعْبَـدٌ والغريـضُ وقيْنتُنـا الضَّبُـعُ العـــاويَهْ
وقـد تأكلـون فُنُـونَ الطُّهَـاةِ ونـأكل مـــا طَهتِ الماشـيَهْ

ليلى :

قـد اعَتسَـفتْ هنـدُ يابنَ ذريـحٍ وكانت على مَهدها قاسـيَهْ
فـما البيـد إلا دِيـارُ الكِـرَامِ ومَنزلـةُ الذِّمَـمِ الوافيَـهْ
لهـا قُبْلَةُ الشـمس عنـد البُـزوغ وللحَضَرِ القُبْلَةُ الثـانيَهْ
ونحـن الرياحـينُ مِلْءَ الفضـاء وهنَّ الريـاحينُ في الآنيَهْ
ويقتُلُنا العِشقُ والحـــاضراتُ يَقُمْنَ مـن العشق في عافيهْ
ولم نصطَدِم بهُمُـــوم الحيـــاةِ ولم نَدرِ - لولا الهوى - ماهيَهْ
وآنًـا نخِـفُّ لصَيْـدِ الظبـاء وآنًـا إلى الأسـد الضاريَـهْ

هند (ساخرة) :

وفي كل ناحيـةٍ شـاعرٌ يغنِّـي بليـلاهُ أو راويَـهْ

(تحاول ليلى أن تمد رجلها فتتألم وتستغيث)

2 - الراغية: الناقة، والثاغية: الشاة.

ليلى :

قيسُ، إليَّ قيس

هند :

ما دهاك ليلى ما الخبرْ

ليلى :

أُحس رجلي خدِرت حتى كأنها الحَجَرْ

هند :

قد صحتِ قيسُ مرتين

ليلى :

أو ثلاثًا ما الضرر

هند (متهكمة) :

إسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر

ليلى :

هند كفي دعابة إن هو الَّا اسمٌ حضر

(لنفسها)

يا قيس ناجى باسمك القلبُ اللسان فعثَر

**عبلة** (ضجرة) :

**أما سوى هذا الحديثِ شاغلُ؟ كيف ظللْتَ اليومَ يا منازلُ؟**

**منازل** (ضاحكًا) :

**منـازلُ اليـوم كأمـس هـازلُ يـشرَبُ أو يَطْعَـمُ أو يُغازلُ!**

**هند :**

**بخٍ! كذا فلتكنِ الحياةُ مُت يا بعير وانفُقي يا شاةُ**

**انغَمست في الترف الرعاةُ!**

**ليلى :**

**وكيف ظللت اليوم سعدُ؟ أهازلٌ كتِربك أم في صالحٍ ورشادِ!**

**سعد :**

**بـــل الجدُّ يا ليلى سبيلي وديْدني حيــاتي بِوادٍ والمُجــونُ بواد**

**صحبتُ زيادًا طول يومي تلقفًا لأشعار قيسٍ من لسان زياد**

**وإن زيـادًا – منـذ كان – لرائحٌ علينا بشـعر العامريِّ وغاد**

**ولـولا زيـادٌ مـا تمثَّـل حـاضرٌ بأشـعار قيـسٍ أو ترنـم باد**

(يبدو على ليلى شيء من الزهو فتتهامس الفتيات)

سلمى :

انظري هند تريْ ليلى اكتست زهوًا وكبرَا

وتعالت كابنةِ النعمان أو كابنة كسرى!

هند :

لِمَ لا سلمى، ألم يرفع لها المجنونُ ذكرَا؟

عبلة :

لِمْ إذن يا هند من قيسٍ ومما قال تَبْرَا؟

هند :

عَبَثُ النِّسوةِ! إنا نحن بالنسوة أدرى!

سلمى :

سلوا الآن بشرًا فيم أنفق يومَه؟

أصوات :

سلوه

هند :

سلي يا ليلَ عن يومه بِشرَا

ليلى :

وهَل يومهُ إلا شئونٌ كأمسِه  من الصيد؟

هند :

إن الصيدَ لذتُه الكبرى

بشر :

نعم هو ملهايَ الذي لا أمَله  ولا النفسُ تُعطَى عن تناوله صبرا
ولو كان عيشي في قصور أميَّةٍ  لعَلَّمْتُ فنَّ الصيد فتيانهَا الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرانب مثلَهم  ولكـــن على حيَّاتِهِ أَلِجُ القَفْرَا

ليلى :

إذن هاتِ واصدُقْ بشرُ في القول مرَّةً
ولا تخترعْ أو تَبْنِ من حَجَرٍ قصرا!

بشر :

دعي عنكِ هذا السُّخْرَ يا ليلَ واسمعي

ليلى :

تحدَّثْ فلا واللهِ لم أُضْمِر السُّخرا

بشر :

بكَرتُ كــدأبي اليومَ أبغي قنيصةً

ومَـن يتصيَّدْ يحسب الغُنْمَ والخُسرا

(رأيت غزالًا يرتعي وَسْط روضة

فقلت أرى ليلى تَراءتْ لنا ظُهرًا) [3]

هند (مشيرة إلى ليلى) :

وأيَّ الليالي بشرُ آنست؟ هذه

بشر :

إذا شئتِ – أو هاتيكِ – أو حُرَّةً أخرى

فقلتُ له يا ظبيُ لا تخشَ حــادثًا

(فإنك لي جــارٌ ولا ترهــبِ الدَّهْرَا)

(فما راعني إلا وذئبٌ قــد انتحى

فــأعلق في أحشــائه الناب والظُّفرا)

(ففوَّقتُ سهمي في كَتومٍ غمستُها

فخالط سهمي مهجةَ الذئبِ والنحرا)

3 – الأبيات التي بين الأقواس من شعر المجنون.

ليلى (ضاحكة) :

**أخي بشرُ لا شُلتْ يمينُك من يدٍ**

**ولا فَضَّ فـــاك الصبحُ والليلُ مــا كرَّا**

**سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم**

**فلم نر أدهى منـــك فتكًا ولا أجـــرا!**

**ووالله لم تغضب لـــظبي ولم تثبْ**

**بذئب ولم تُعمِلْ خيـــالًا ولا فكـــرا**

**أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بضــاعةً**

**سرقتَ لعمري الظبيَ والذئبَ والشعرا!**

(ضحك من الجميع)

**حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيـــسٍ لستُ أنســاه**

**زيـــادٌ عنـــه نبَّاني ولا ينبيـــــك إلَّاه**

**رأى قـــيـــسٌ عـــلى رابـية ظبيًا فنـــــاداه**

**فـــألقى الظبيُ أذْنَيْهِ ومـــسَّ الأرضَ قـــرناه**

(ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها)

**برُوحي قيسُ! هل راحت ظبـاءُ القاع تهواه؟**

**وهـل يَرثـي لـه الريـمُ ولا أرثـي لبلـواه؟**

(تسترسل في حديثها الأول)

**عـلى فيـه مـــن العُشْـبِ بقايـا صبغـت فاه**

**رأى في جيـــده قيـسٌ وفي عينيـه ليـلاه**

**فبينـا هـــو في الشـوقِ وفي نشـوة ذكـراه**

**حبا الذئبُ مـــن الوادي إلى الظبي فـأرداه**

**تغـدى بحَشـا الظَّبـي غَـداءً مـا تهنَّـاه**

**رمـاه قيـس في المقتـل بالسـهم فأصـماه**

**بشر** (مندفعًا بحماسة!) :

**أجـل يـا ليـلَ! ما قلتِ سـوى شيءٍ شـهِدناه**

**وإن لم تذكـري القـبرَ ولا كيـف خططنـاه**

**حفرنـا القـبرَ للظبـيِ وقمنـا فدفنـــــاه**

**وصلَّينـا عـلى الميْـتِ وبالدمـــع سـقيناه**

**فقولـوا ولتقـل ليـلى معـي يرحمُـــه الله!**

**أصوات** (بين الضحك والسخرية) :

**أجل بشرُ!**

**أجل بشرُ!**

**أجل يرحمه الله!**

**ابن ذريح :**

**بشرُ كفى هزلًا وتخليطًا كفى ويابنةَ العم مضى الليلُ سُـدى**

**أرسـلني قيسُ فلو أخبرتني متى متى بـأمر قيسٍ يُعتنى؟**

**بتنـا نخـافُ أن يحِـلَّ خطبُـه وتبلـغَ البلـوى بقيـسٍ المَدى**

**وقيسُ يـــا ليلى وإن لم تجهلي زين الشباب وابنُ سيد الحمى**

**لم نـــدرِ في حيِّـك أو في حيِّـه فتـى حـــكاه نسـبًا ولا غنـى**

**ولا جمـالًا، وهنـا (يا ليلَ) ما تريْنَ أنتِ لا الذي نحن نرى**

**بشر** (ساخرًا) :

**بخٍ بَخٍ! إبنُ ذريح خاطبٌ**

**ابن ذريح :**

**أسكت فلست للمروءات أخَا!**

ليلى (غاضبة) :

فيم هذا الكلامُ يا بنَ ذريحٍ؟

ابن ذريح :

إتقي اللهَ واقصِدي في التجني

ليلى :

ما تجنَّيت

ابن ذريح :

بـل ظلمـت، دعينـي أُحسـن الذَّودَ عـن صديقي وخِدني

ليلى :

أنـا أَوْلى بـه وأحنـى عليـه لـو يُـداوَى برحمتـي والتحنِّـي

يعلـمُ الله وحـده مـا لقيـس مـن هوًى في جوانحي مستكِنِّ

إنني في الهوى وقيسًا سـواءٌ دَنُّ قيس مـن الصبابة دَنِّي

أنـا بـين اثنتـين كلتاهمـا النـا ر فـلا تَلْحَـى ولكـن أعِنِّي

بين حرصي على قَداسة عرضي واحتفاظي بمن أُحبُّ وضَنِّي

صنتُ منذ الحداثة الحبَّ جهدي وهـو مستهترُ الهوى لم يَصُنِّي

قـد تغنـى بليلـة الغَيْلِ، مـاذا كان بالغيل بـين قيس وبيني؟

**كل مـا بيننـا سـلامٌ وردٌّ  بـين عـين مـن الرفـاق وأُذن**

**وتبسَّـمتُ في الطريـق إليـه  ومـضى شـأنه وسرتُ لشـأني**

(تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه)

**أَوْغل الليلُ فلنقمْ**

**ابن ذريح** (متوسلًا) :

**بل رويدًا  واسمعي (ليلَ)**

**ليلى :**

**خلِّ عَنِّيَ دعني!**

(تدخـل خباءهـا بينـما ينفـض السـامرون فـلا يتثاقـل منهـم في القيـام إلا منـازل - الهـرج والأسـف يسـودان الجميـع)

**بشر :**

**انفضَّ سامرُ ليلى  وكان حَفْلًا كريمَا**

**سعد :**

**قد فَضَّه ابن ذريح  ففض عِقدا نظيمَا**

**أثار ليلى فهاجت  كـما تنفِّر رِيمَا**

**ترى أَتُبْغِضُ قيسًا**

ابن ذريح :

لا تقلبوا الحبَّ بغضَا

ليلى العشيةَ غضبى ويُصبح الصبحُ ترضى

سعد :

أنعم (مُنَازِ) مساءً

منازل :

نعمت سعدُ مساء

هند :

بشرُ مُسِّيتَ بخيرٍ

بشر :

أنعمي هندُ مساءَ

هند :

نحن يحوينا طريقٌ فامض بلّغني الخباءَ

سعد (ضاحكًا) :

احذري يا هند منه!

هند :

**أنا لا أخشى اعتداء**

**قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء!**

(تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر قيس وزياد من جانب المسرح الآخر)

قيس :

**سجا الليل حتى هاج لي الشعرَ والهوى**

**وما البيدُ إلا الليلُ والشعرُ والحبُّ**

**ملَأْت سماءَ البيدِ عشقًا وأرضَها**

**وحُمِّلْتُ وحدي ذلك العشقَ يا ربُّ**

**ألَمَّ على أبيات ليلى بيَ الهوى**

**وما غيرَ أشواقي دليلٌ ولا ركبُ**

**وباتت خيامي خُطوة من خيامها**

**فلم يَشفني منها جوار ولا قرب**

**إذا طاف قلبي حولها جُنَّ شوقُه**

**كذلك يُطغِي الغُلةَ المنهلُ العذب**

يحــن إذا شطَّت ويصـــبو إذا دنت

فيا ويح قلبي كم يحن وكم يصبو

وارسلني أهلي وقالوا امض فالتمس

لنـــا قبسًا من أهل ليلى وما شبُّوا

عفا الله عن ليلى لقـــد نؤتُ بالذي

تحمَّلَ من ليلى ومن نارهـا القلب

منازل (وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما في الظلام) :

أرى شبحًا مقبلًا في الظـــلام وأسمـــــع همهمة في الدجى

هو ابـــــن الملوَّحِ دلَّ الهُزالُ عليه ونـمَّ اضطراب الخُطـــا

عـــدوِّي المبين ومـــا بيننا ولا بين صـــاغِيتيْنَا [4] جفـا

روى شعرَه البدو والحاضرون وشعريَ لـــيس لـه من روى

وهـام بليـلى وهـــامت به لقـــد كنـت أولى بهذا الهوى

تشـــرَّد مستعظمًا في البـــلاد وجُـــنَّ فـــما ازداد إلَّا نُهى

وإني لأُبدي إليـــه الـــوداد وأخفي لـــه في الضلوع القِلى

وأحسُـدُه حسـدًا ما علمت أقيـــــسُ الشقيُّ به أم أنا

4 – صاغية الرجل: قومه.

(يتقدم منهما خطوات)

**من الراكبُ الليل؟ قيسٌ أخي؟**

**قيس :**

**منازل؟ ما أعجبَ الملتقى!**

**منازل :**

**أقيسًا أرى في ظلال البيوت؟ وعهدي بقيس حليفَ الفلا**

**قيس :**

**منازل، من أين؟**

**منازل :**

**من عندِها من السمر الممتِع المشتَهى**

**قيس (حنقًا) :**

**أمن عند ليلى تجرُّ الذيول حديث لَعمرُ أبي مفترى**

**منازل :**

**بل الصدقُ ما قلتُ يابن الملوَّ ح**

**قيس :**

**إخسأ متى قلت صدقًا متى؟**

**وما كنت تصنع؟**

**منازل** (ساخرًا) :

**مـــــــا يصنعـــــون  لهـوت لعمـريَ فيمـن لها**
**وسامر ليلى كثير الزِّحام  فلست تعدُّ شباب الحِمى**
**وليلى تُفيضُ على من تشاء  رضـــاها وتحرمُه من تشا**

**زياد** (مغضبًا) :

**منـازل، قيسُ، سـبيلكَ قيـس!  وكِلْ لِيَ تأديبَ هذا الفتى**

**منازل** (وقد أخذ بتلابيبه) :

**تؤدبُني زيـادُ وأنت ظل  لمجنون وراوية لهـــــــــاذي**
**وتزعـمُ أننـي نِـدٌّ لقيس  رضِيـت من المصائب غيرَ هذي!**

**زياد** :

**مـن قـال ذا؟ أنـت لقيـس نِـدٌّ  لم يبـق فيـكِ يـا حيـاةُ جِدُّ**

**إمض بنا ناحيةً يا وغد!**

(يجـره إلى حيـث تسـمع أصواتهـا مـن بعيـد ثـم تختفـي فيقبـل قيـس عـلى خبـاء ليـلى وينـادي)

**قيس** :

**ليلى!**

**المهدي** (خارجًا من الخباء) :

**من الهاتف الداعي؟ أقيس أرى؟**

**ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا**

**قيس** (خجلًا) :

**ما كنتُ يا عمُّ فيهم**

**المهدي** (دهشًا) :

**أين كنت إذن؟!**

**قيس** :

**في الدار حتى خَلتْ من نارنا الدار**

**ما كان من حطب جَزْلٍ بساحتها**

**أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار**

**المهدي** (مناديًا) :

**ليلى – انتظر قيس – ليلى**

**ليلى** (من أقصى الخباء) :

**ما وراء أبي؟**

**المهدي :**

**هذا ابن عمِّك ما في بيتهم نار**

(تظهر ليلى على باب الخباء)

**ليلى :**

**قيس ابن عمي عندنا يا مرحبًا يا مرحبَا**

قيس :

**مُتِّعتِ ليلى بالحيا ة وبَلَغْتِ الأَرَبَا**

**ليلى** (تنادي جاريتها بينما يختفي أبوها في الخباء) :

**عفراء**

**عفراء** (ملبية نداء مولاتها) :

**مولاتي**

**ليلى :**

**تعالَيْ نقضِ حقًّا وَجَبَا**

**خذي وعاءً واملئيه لابنِ عمِّي حَطَبَا**

(تخرج عفراء وتتبعها ليلى)

قيس :

بالروح ليلى قضت لي حاجةً عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ

مضت لأبيـــــاتها ترتـــــاد لي قبسًا

والنـــــار يا رُوحَ قيسٍ مـلءُ أبياتي

كـــــم جئتُ ليلى بأسبـــــاب ملفَّقَةٍ

ما كـــــان أكثر أسبـــــابي وعلاتي

(تدخل ليلى)

ليلى :

قيس

قيس :

ليلى بجانبي كلُّ شيء إذن حضَرْ

ليلى :

جمعتنا فأحسنت ساعةٌ تَفْضُلُ العُمُرْ

قيس :

أتجدِّين؟

ليلى :

مـــا فـــــؤا دي حـــديدٌ ولا حجـرْ

لـك قلـبٌ فسـله يـا قيـس ينْبِئْـكَ بالخـبرْ

قـدْ تحملـتُ في الهـوى فوق مـا يحتمل البشرْ

قيس :

لسـتُ ليـلاي داريًـا كيف أشـكو وأَنفجِرْ؟

أشـــرح الشوقَ كله أم من الشوق أختصِرْ؟

ليلى :

نبِّنـي قيـسُ مـا الذي لـك في البيد من وطرْ؟

لك فيها قصـــائدٌ جـاوزَتْهـا إلى الحضرْ

كـــلُّ ظبـي لقيتـه صُغـت في جيـده الدررْ

أتُـرى قـد سـلوْتنا وعشـقتَ المَهـا الأُخرْ؟

قيس :

غـرت ليـلى مـن المهَـا والمهـا منـك لم تَغَـرْ

حبَّب البيـــدَ أنهـــا بكِ مصبوغَةُ الصُّوَرْ

لسـت كالغِيـدِ لا ولا قمـرُ البيـد كالقمـرْ

**ليلى** (وقد رأت النار تكاد تصل إلى كم قيس) :

**ويحَ عينيَّ ما أرى! قيس**

**قيس :**

**ليلى**

**ليلى** (مشفقة) :

**خذِ الحذرْ!**

**قيس** (غير آبه إلا لما كان فيه من نجوى) :

**رُبَّ فجر سألتُه هل تنفستِ في السحَرْ**
**ورياح حسِبتُها جرَّرَت ذيلَك العطِرْ**
**وغزالٍ جُفونهُ سرقت عينكِ الحَوَرْ**

**ليلى :**

**إطرح النارَ يا فتى أنت غادٍ على خطرْ**
**لهبُ النار قيسُ في كمِّك الأيمن انتشرْ**

**قيس** (مستمرًّا بعد أن رمى النار من يديه) :

**وذئابٍ أرقَّ يا ليلُ من أهلِك الغُيُرْ**
**أنِستْ بي ومرَّغت في يدي الناب والظفُرْ**

ليلى :

ويـح قيـسٍ تحرقت  راحتــاه ومـــــا شَـعَرْ

قيس :

أنت أججتِ في الحَشا  لاعجَ الشـــوقِ فاستَعَرْ

ثـــــم تخشَـيْنَ جمـرةً  تـأكلُ الجلـد والشَّـعَرْ

(يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الإغماء)

ليلى :

فِـدَاك أبي قيـس مـاذا دَهـاك؟  تكلم، أبِن قيـس، ماذا تَجِدْ

قيس :

أحـسُّ بعينـيَّ قـد غامتـا  وسـاقيَّ لا تحمِـلان الجسَـدْ

(يخر صريعًا إلى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة)

ليلى :

يا لأبي للجارْ  قيس صريعُ النار  ْملقًى بصَحن الدارْ!

(يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها)

أبي هـا أنـت ذا جئت  أغِثنـــــــا أبتي أدركْ

لـــــقد حُـرِّق بالنـارِ  فـما يصحـو إذا حُـرِّك

**المهدي :**

**يرانا الناسُ يا ليلى**

**ليلى :**

**أبي انْفِ الناسَ من فكرك**

**هنـا لا تقـعُ العـيْنُ عـلى غـيري ولا غـيرك**
**ولا يَطْلُـعُ إنسـانٌ عـلى سـري ولا سِرك**
**ولا أجـدر مـن قيس بإشفـاقك أو برك**
**أبي صدريَ لا يقوى فـأسندْه إلى صدرك**

**المهدي** (وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه) :

رعاك اللهُ يا ليلى وكافاك على صبرك

**أخافُ الناسَ في أمري وأخشى القلبَ في أمرك**
**وكـم داريـتُ يا ليلى وكم مهَّدْتُ من عذرك**
**ولست الوالدَ القاسي ولا الطـامعَ في مهرك**

(يناجي قيسًا في غيبوبته)

**أبا المهديِّ عوفيتَ ويا بورك في عمـرك**
**أراني شـعرُكَ الويلَ وما أروي سـوى شعرك**
**كـما لَـذَّ على الكُـرهِ كـلامُ الله للمشرك!**

(يتحرك قيس ويبدو عليه كـأنما يفيق فيناديه)

**قيس**

**قيس** (يحاول الوقوف فتسنده ليلى) :

**لبَّيك عمِّ**

**المهدي :**

**حسبُكَ فاذهبْ لا تطأْ لي بعد العشيَّةِ دارَا**

**ليلى :**

**أبتي لا تَجُر على قيسَ**

**المهدي :**

**لِمْ لا إن قيسًا على القرابة جارَا**

**ليلى :**

**أبتي ما تراه كالفَنن الذا وي نُحولًا وكالمَغيب اصفرارَا؟**

**وتأمــلْ رداءَه ويديْــه تجــد النــارَ أو تــــرَ الآثــارَا**

**أبتي دَعْهُ يَسترحْ**

**المهدي :**

**بل دعينا لا تزيدي يا ليلَ سُخطي انفجارَا**

قيس :

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلًّا لعمِّي وكفى حِلفةً له واعتذارَا

عمُّ ماذا جنيت؟

ليلى :

ماذا جنى قيس؟

المهدي :

نسيتِ الرُّوَاةَ والأخبارَا

قيس :

إنهم يأفكِون يا عمِّ

المهدي :

والغيلُ أليلًا غشِيتَه أم نهارَا؟

ما الذي كان ليلةَ الغَيْل حتى قلتَ فيها النَّسيبَ والأشعارَا؟

قيس :

لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدي إنما نحن فِتيةٌ وَعَـــذارَى

جمعتْنا خمـــائلُ الغيـل بالليـل كـما يجمعُ الحمى السُّـمَّارَا

ليسَ غيرَ الســـــلامِ ثم افترَقنا ذهبتْ يمنةً وسِرتُ يسارَا

المهدي :

إِمضِ يا قيس إمضِ لا تكسُ ليلى كلَّ حينٍ فضيحةً وشنـارَا

فكـــأني بقصة النـــــــار تُروى وكـــأني بذلك الشعر سارَا

وكـــــأني ارتديتُ في الحي ذلًّا وتجللتُ في القبائل عـــارَا

إمضِ قيسُ امضِ

قيس :

عـــــمُّ رفقًـــــــا بليـلى وبقيـسٍ ولا تكـن جبـــارَا

الحذَارَ الحِذَارَ من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذارَا

المهدي :

إِمضِ قيس امضِ جئت تطلب نارًا

أم ترى جئتَ تُشعلُ البيتَ نارَا؟

(يخرج قيس)

# الفصل الثاني

(طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب، على مقربة من حي بني عامر حيث تبدو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد — قيس وزياد جلوس إلى جذع نخلة، يستشرفان شبحًا يسير نحوهما)

**قيس :**

**زيادُ ما تلك؟ مَن الجُوَيْرِيَهْ؟ أتلك (بلهاءُ)؟**

**زياد :**

**أجل قيس هيَهْ**

(تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة)

**قيس :**

**بلهاءُ كيف الحيُّ؟ كيف أُمِّيَهْ؟**

**بلهاء** (وهي تضع القصعة) :

**تسأل عنكَ كما سألتَ**

(تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه)

**زياد :**

**بالله قيسُ إلا أكلت**

(يشتد ميل قيس عن الطعام)

**بلهاء** (هامسة لزياد) :

**زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا همَّا**

**زياد :**

**طبــخُ يــدِ الأمِّ يــا قيــسُ ذُقْ مِمَّــا**

**الأمُّ يــا قيــسُ لا تطبُــخُ السُّـــــمَّا**

(ينزع عن القصعة غطاءها)

**تعال تأمَّلْ قيسُ، تلك ذبيحةٌ**

**قيس :**

**عسى اليومَ نحرٌ**

**زياد :**

**أين نحنُ من الأَضْحى؟**

قيس :

أرى صُنْعَ أمي يا زيادُ، فَدَيتُها

بروحي وإن حمَّلتُها الهمَّ والبَرْحا

ستخبرنا البلهاء

زياد :

بلهاءُ بيِّني ولا تكتمي عنَّا الحديثَ ولا الشرحا

بلهاء :

لقــد مرَّ عــرَّافُ اليمامــةِ بالحمى

فما راعنــا إلا زيارتُهُ صُبحا

طوى الحيَّ حتى جاء عن قيسَ سائلًا

وأظهرَ ما شاءَ المَوَدَّةَ والنُّصحا

ولاحت له شــاةٌ جَثومٌ بموضــعٍ

تخَيَّلَها ظلًّا من الليل أو جُنحا

فقال اذبحوا هاتيك فــالخير عندَها

فقــام إليها يافعٌ يُحسِنُ الذَّبْحا

فقال انزعوا من جُثة الشاة قلبَها

فلم نَأْلُ قلب الشاة نزْعًا ولا طرْحا

فلما شويناهـــــا رَقَى بعزائـــمٍ

عليها وألقى في جـــوانبِهـــا المِلْحا

وقـــال اطلبوا قيسًا فهذا دواؤه

كـــأني به لما تنـــاولَه صَحَّـــــا

زياد :

تعلَّلْ قيـــسُ بالشـــــاة عساهـــا تذهبُ الحُبَّا

فما الـــــعَرَّافُ بالمجهو ل لا علمًا ولا طبَّـــــا

ولم تَعْلَمْ عليـــــه البيد تـدجيلًا ولا كِذْبَـــا

طبيبٌ جرَّبَ اليـــابسَ في الصحراءِ والرَّطْبـــا

فـــذقْ قيس ولا تَرتَبْ بما قـــال ومـــا نَبَّا

وتلك الأمُّ يـــا قيس أطِعْهـــا تطِـــع الرَّبَّا

قيس :

زياد اسـمعْ وكن عوني وخلِّ اللومَ والعَتبا

إذا لم يكـــن بُـــــدٌّ فـإني آكُلُ القلبـا

**زياد :**

**قيسُ يبغي القلبَ يا بلهاءُ أين القلب أينا؟**

**بلهاء :**

**هو عندي ويسيرٌ ما اشتهى قيسٌ علينا**

**هو في الشاة**

**زياد :**

**هلمَّي أخرجي القلبَ إلينا**

**بلهاء :**

**القلبُ! أين القلبُ؟ أين يا ترى وضَعْتُهْ؟**

**يا ويحَ لي! نسيتُ أني بيدي نزعتُه!**

**قيس :**

**وشاةٍ بلا قلبٍ يداوونني بها**

**وكيف يُداوي القلبَ من لا له قلب!**

(تسير بلهاء إلى الحي ويظهر صغار من ناحية الحي يلهون في طائفتين، وإذ تقع أبصارهم على قيس وزياد تتغنَّى كل طائفة بغناء)

**الطائفة الأولى :**

**قيسُ عُصفورَ البوادي وَهَزارَ الرَّبَـــوَاتْ**
**طِـرتَ مـن وادٍ لِـوادي وغمـرتَ الفلواتْ**
**إيــهِ يــا شــاعرَ نجــدٍ ونجــيَّ الظَّبَيَــاتْ**
**أضمــرِ الحــبَّ وأبــدِ لِأَعَــفِّ الفَتَيــاتْ**

**الطائفة الثانية :**

**قيسُ كشَّفتَ العذارى وانتهكتَ الحُرُمــاتْ**
**ودَمَغْـتَ الحـيَّ عــارًا في السـنينَ الغابراتْ**
**قد ذكرتَ الغَيْلَ دعوى واصطنعتَ الخلوَاتْ**
**صَلِيَتْ ليلى ببلـــوى منك دون الفَتَيــاتْ!**

(يلتقـط قيـس بضـع حصـوات مـن الأرض ويهـم أن يحصب بهـا الصغـار، ثـم يـتردد فينثـر الحصـا مـن يديـه بينـما يظهـر مـن جانـب الطريـق الآخـر ابـن عـوف وكاتبـه نصيب)

**قيس** (مناجيًا نفسه) :

**قيسُ لا! سـامحْ صغارًا لا يُحِسُّـون الخطيئَهْ**
**إنهــم فيــما أتـــــوْه بَبَّغــاواتٌ بريئَــهْ**
**لُقِّنُوهـــــــا كلـماتٍ نزهـاتٍ أو بذيئَـهْ**

**زياد** (وهو يصرف الصغار) :

**إِذهبوا عـــودوا إلى آبـائكم  واذكروا قيسًا بخير يا خُبُثْ**

**إِذهبـوا أَوْحُـوا إلى أتــرابكم  وليُبَلِّـغْ حَدَثًا منكم حَدَثْ**

**سيْطَرَ الحبُّ على دنيـــاكمو  كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ**

(يجـري الصغـار أمـام زيـاد مضطربـين ثـم يختفـون عـن الأنظـار، بينـما يسـتلقي قيـس عـلى الأرض في شـبه إغـماء)

**ابن عوف** (إلى نصيب وزياد يطارد الصغار) :

**انظرْ نُصَيْبُ ضجةٌ وصبيةٌ  ورجلٌ يرمي الصغار بالحصا**

**نصيب :**

**أرى أميري نشَـأً تعلقوا  بابن سـبيلٍ مُتْعَبٍ واهي القُوى**

**ابن عوف :**

**بل امضِ سَلْ**

**نصيب** (معترضًا زياد) :

**مَنِ الفتى؟**

**زياد** (لنفسه وقد رأى ابن عوف) :

**ماذا أرى؟  هذا أميرُ الصَّدَقات هٰهُنا**

(ثم يرد على نصيب)

**قيسُ إمامُ العاشقين**

**ابن عوف :**

**أيُّهم فهم كثير، كل قيس بهوى**

**زياد :**

**أجلْ ولكنَّ الذي تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرًا وأعلاهم سنى**

**ابن عوف :**

**لعله قيسُ الذي نعرِفُه لقد رَويْت شعرَه فيمن رَوى**

**فأين ظلُّه زياد؟**

**زياد :**

**أنا ذا أنا الذي يتبعُه حيثُ مشى**

**ابن عوف :**

**أنت الذي تهدي لكلِّ قريةٍ مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا**

**ما بالُه يَطَا الترابَ حافيًا ويقطعُ البيدَ مُمَزَّقَ الرِّدا**

**خُذ يا نُصَيْبُ بُردتي فغطِّه لا يلحقنَّه من العُرِي أذى**

**زياد :**

**إِحفظ عليك البُرْدَ يا أميرُ لا فقرَ إليه بـــابن سيد الحمى**

**إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يفنى به العمر وما يُعيي البلى**

**ابن عوف** (مناجيًا نفسه) :

**يـا ويـحَ قلبي ما خلا من قسـوةٍ مـا بالُه رَقَّ لقيسٍ ورثى**

(يقبل على قيس)

**قيسُ بُنيَّ**

**زياد :**

**هو في إغماءة من وَجْده وما أظنُّه صحا**

(يسـمع صـوت حـاد مـن ناحيـة نجـد، ويتعـالى الصـوت قليـلًا قليـلًا حتـى يظهـر الحاديـن ومـن ورائـه قافلـة تسـير إلى المدينـة ثـم يـذوب الصـوت قليـلًا قليـلًا حتـى ينقطـع)

**أنشودة الحادي :**

**يـا نجـدُ خُـذْ بالزمـامْ ورحِّـــــبِ**

**سرْ في رِكـــاب الغمامْ لـــــيثربِ**

**هــذا الحُسَــيْنُ الإمــامْ ابــنُ النبــي**

النـــــورُ في البيـد زادْ حتـى غَمَـرْ
أُحْـدُ الحيـا في الوهـادْ أُحْــدُ القمـر
أُحْـدُ جمَـالَ البَـــواد زيـنَ الحـضرْ

## ابنَ النبي

ابن عوف :

سمعتمو؟ يا لكِ من رنة حادٍ مُطرِبِ

زياد :

يا ليت شعري ما الركا ب مَنْ لواءُ الموْكِب

نصيب :

قد بيَّن الحـــــادي فقل أصــمٌّ أنت أم غبي؟
هذا منـــــــارُ العرب هذا الحُسينُ ابنُ النبي
هذا الزكيُّ ابنُ الزَّكِيِّ الطيِّبُ ابـــنُ الطيب
عـــارَضَنا الحسينُ في طريقـــه لـــيثرب
هذا ســـــنا جبينه مِلء الوهـــاد والرُّبي
قـد جـلَّ حاديه جـلا لَ القـــارئِ المطَرِّب

**ابن عوف** (هامسًا إلى نصيب) :

**نصيبُ صـــه لا تَسلكنْ بنـــا مسالكَ التُّهَمْ**
**ولا تَظـــــاهرْ بالهوى لوارث البيت العَلَمْ**
**إحذرْ جواسيس ابن هندٍ وعيونَ ابــن الحَكَمْ**
**نحن رجـــالُ دُولـــةٍ قـوَّامةٍ على الأمـــم**
**ليـس بعينهـــا عمًى ولا بأُذْنِهـــا صَمَمْ**
**تسمع في ظـــل القصور همسَ رُعيان الغنم**

(إلى زياد مشيرًا إلى قيس)

**زياد انظرْ فما انفكَّ صريعَ الوجد والذكرى**
**كـما مَـرَّ بنـا الركب الحسـينيُّ بـــــه مَرَّا**
**فلم يشـغَلْ له بالًا ولم يوقظْ لـــــه فكرا**

**زياد :**

**رويـدًا سـيدي مهـلًا ولا تسـتغرِب الأمرا**
**لقـد سـقناه بالأمـس فحـجَّ الكعبَـةَ الغـرَّا**
**فلـما لمـس الركـــــنَ ومسَّـتْ يدُه السِّـترا**
**وقلنـا الآنَ مـن ليـلى ومـــن فتنتهـا يـبرا**
**سـمِعناه ينـــادي الله من سـاحته الكبرى**

ابن عوف :

وماذا قال؟

زياد :

مـــــــا تـــــابَ من العِشق ولا استبرا
ولكـن قـال يـا ربُّ ملكـتَ الخـيرَ والشرَّا
فهاتِ الضُّرَّ إن كان هــوى ليلى هو الضرا
وإن كان هـو السحرَ فــلا تُبطلْ لها ســحرا
ويا ربِّ هَبِ السلوى لغيري وهــب الصبرا
وهب لي مَوْتَةَ المُضنَى بها لا مِيتَةً أُخـــــرَى

(يقبل على قيس ويميل عليه بحنان)

حنانيْك قيسُ إلامَ الذهــول؟ أفِقْ ساعةً من غواشي الخَبَلْ
صليلُ البغـــال ورَجْع الحُداءِ وضجَّةُ رَكْـبٍ وراء الجبَلْ
وحادٍ يسوق رِكـــابَ الحسَيْنِ يهزُّ الجبـــالَ إذا ما ارتجلْ
فلم يبقَ مـــاشٍ ولا راكبٌ على نجدَ إلا دعـــا وابتهَلْ
فقمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين وأنزِلْ بجَدِّ الحسيْنِ الأمـلْ

(يسمع صوت حادٍ آخر قادمًا إلى نجد من ناحية يثرب، على رأس قافلة أخرى وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى)

**أنشودة الحادي :**

**هـلا هـلا هيَّـا، إطـوي الفـلا طيَّـا، وقـرِّبي الحيَّـا، للنـازح الصَّـبِّ جلاجـلٌ في البيـدْ، شـجيَّة الترديـدْ، كرنَّـة الغِرِّيـدْ، في الفنَـنِ الرَّطْـبِ أنـاح أم غنَّـى، أم للحمـى حنَّـا، جُلَيْجِـلٌ رنَّـا، في شُـعَب القلـبِ هـلا هلا سـيري، وامـضي بتيسـير، طيري بنـا طـيري، للماء والعُشـبِ طـيري اسـبقي الليـلا، وأدركي الغَيْـلا، العهدَ مـن ليلى، ومَنـزِلِ الحبِّ بـالله يا حـادي، فتِّـشْ بتوْبادِ، فالقلـبُ في الـوادي، والعقلُ في الشِّـعبِ يـا قمـرًا يبـدو، مَطلعُـه نجـدُ، قـد صنـع الوجـدُ، مـا شـاء بالركـب**

(يفيق قيس ثم يتلتف مصغيًا إلى الحداء)

**قيس :**

**ليلى! منادٍ دعـــا ليلى فخفَّ لـــــه**

**نَشْوانُ في جنبـات الصدر عِربيدُ**

**ليلى! انظروا البيدَ هل مادت بآهِلِهَا**

**وهـــل ترنَّمَ في المزمـــار داودُ**

**ليلى! نـــداءٌ بلـــيلى رنَّ في أذني**

**سحرٌ لعمري له في السمع ترديدُ**

ليلى! تَرَدَّدَ في سمْعي وفي خـــلدي

كما تَرَدَّدُ في الأيك الأغـــــاريدُ

هل المنادون أهلوهـــــا وإخوتُها

أم المنادون عشـــــــاقٌ معاميدُ

إن يَشرَكوني في ليلى فـــلا رَجَعتْ

جبـــالُ نجدٍ لهم صوتًا ولا البيدُ

أغيرَ ليلاي نـــادوْا أم بهـــا هتفوا

فـــداء ليلى اليـــالي الخُرَّدُ الغيدُ

إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبت من خَبَلي

وثـــابَ ما صَرَعتْ مني العناقيدُ

كســـا النداءَ اسمُها حسنًا وحبَّبَه

حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد

ليلى! لَـــعَلِّيَ مجنـــونٌ يُخَيَّلُ لي؟

لا الحيُّ نـــادوْا على ليلى ولا نُودوا

ابن عوف :

لا تكتئبْ وتعالَ يا قيسُ استرحْ  مما تكابد في الهوى وتلاقي

قيس :

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتي

أم أنت من سحر الصبابة راقِ؟

ابن عوف :

بل من رُواتكَ قيسُ من زمنٍ مضى

لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفة يابنَ عـوفٍ في غدٍ

مَنْذَا أبـــاح له دمَ العشاق؟

هدَرتْ حكومتُه دمي فتحرَّشتْ

بدمٍ على سيف الجفُون مُراق

ابن عوف :

أرَضِيتني عند الخليفةِ شافعًا؟  يا قيس

قيس (في أنفة) :

لا والواحدِ الخلاقِ

بل عند ليلى فامض فاشفعْ لي لدى

ليلى ونـــاشِدْ قلبَها أشــواقي

جِئْها فذكِّرْهَـــا العهودَ وحِفظَها

واذكرْ لها عهدي وصِفْ ميثاقي

لَيلى إذا هي أقبـــلتْ حَقَنَتْ دمي

كـــــرمًا وفكَّتْ يا أميرُ وَثاقي

ابن عوف :

الآنَ قيسُ اذهـــبْ فبدِّلْ حـــلَّةً

وَتَرَدَّ غيرَ ثيابِكَ الأخـــــلاق

فالصبحَ تدخــلُ حيَّ ليلى قيسُ في

ركْبي وبين بطانَتي ورفـــــاقي

**قيس** (إلى زياد) :

**أسمعتَ ما قال الأميرُ؟ زيادُ، طِرْ**

**نحو الحمى بجَنَاحي المشتاق**

**إِذهبْ وسلْ أمي أعزَّ مـــــلابسي**

**من كـــل شاميٍّ وكلِّ عراقي**

**واذكرْ لهـــا فضلَ الأمير، ولم تزَلْ**

**نِعَم الأمير قـــــلائدَ الأعناق**

(يسير زياد نحو الحي بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل)

**شكرًا لصُنعِكَ يا أميرُ ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ**

**عجِّلْ أمير**

**ابن عوف** (ضاحكًا) :

**بل انتظرْ أنسيتَ يا قيسُ الثيابْ؟**

**قيس** :

**مَنْ مُبلغٌ أمي الحـــــزينةَ أن عقلي اليـومَ ثابْ؟**

**ومَن البشيرُ إليـكِ يا ليلى بقيسٍ في الـــركابْ؟**

**الـــــــيومَ أهلًا بالحيَاة ومرحبًا بكَ يا شبابْ!**

# الفصل الثالث

(قطعة من الصحراء تبدو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة إلى ما وراء اليسار على سفح جبل التوباد - خباء مضروب إلى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحي - على اليمين أشجار بانٍ يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس وزياد)

**ابن عوف :**

**تراءى الحيُّ للركْبِ وأشرَفْنا على الشِّعْبِ**
**أفِقْ قيسُ أما في رؤ ية الخيْمات ما يُصبي؟**
**ألا تهتفُ بالشكوى إلى ليلى وبالـــعتْب**

**قيس :**

**ديارَ الحي مـــن ليلى سلامٌ من شَجٍ صَبِّ**
**على الحي على الـــدار على ليلى على الحـــب**
**عدا الركبُ على طيبٍ كـــريح المندَل الرَّطب**
**فيا ليلى عسى اليـــوم أبلُّ الشـــوقَ بالقرب**

عسى الخِطْبةُ لا تنزلُ في ناديـــكِ كَالخَطب
عســاهم لا يقولون فتى مشــترَكُ اللـــب
ولا يذهبُ إحســاني ولا يبقى ســوى ذنبي
يقولــون بهـــا غنَّــي لقــد غنَّيــتُ من كربي
سلي تُربَك كم مَرَّغت خـــــدَّيَّ على التُّرب
وكم جُدتُ عَلى الرمل ولم أبخَلْ على العشب
بدمعٍ مثل دمعِ الثُّكلِ مغروفٍ من القـــلب

(يتطلع ابن عوف إلى ناحية الحي)

**ابن عوف :**

**قيسُ انتبهْ قيس**

**قيس :**

**مَن المنادي؟**

**ابن عوف :**

**الحيُّ في السلاح سَدَّ الوادي**

وأنــت قيــسُ بعــد حــينٍ غــاد عــلى خصــوم لُدُدٍ شِــداد
فَالْــقَ الرجــال صاحــيَ الفــؤاد لا تَلْقهم مُضَيَّعَ الرشــاد

قيس (متطلعًا كذلك) :

**أتُبصِرُ يابنَ عوفٍ حيَّ ليلى تَدجَّج في السلاح ولا تراها؟**
**فـما لي لا أُحَقِّـقُ غـيرَ ليـلى وإن كثُر السـوادُ لدى حماها**
**لقد ألقَى هوى ليلى حجابًا على عيني فلستُ أرى سواها**
**وبغَّضتِ النصيحَ إليَّ ليلى وسـدَّ مسـامعي عنه هواها**

(يسـمع مـن بعيـد ومـن ناحيـة الحـي لجـب وقعقعـة سـلاح ويقـترب الصـوت ويتعـالى شـيئًا فشـيئًا)

**أرى حيَّ ليلى في السلاح ولا أرى**
**سـلاحًا كهجر العامريَّة ماضيَا**
**دمي اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلِهـا**
**فِداء لليلى مُهدَرَاتٌ دمـائيَا**
**لِيَ اللهُ! ماذا منك يا ليـل طَاف بي**
**وما ذلك الساقي وماذا سقانيا؟**
**دعوني وما عِندي لليلى أقـولُه**
**لليلى وأستنشي الذي عندهـا لِيَا**
**أهيمُ فأستعدي نهاري على الجوى**
**وأقبعُ ليلى أستجيرُ القوافيـا**

(فما أُشرِفُ الأيْفَـاعَ إلا صبـــــابةً
ولا أُنشِـدُ الأشعــارَ إلا تداويا)
إذا الناسُ شَطرَ البيت ولَّوْا وجوههم
تملستُ ركنيْ بيتهـا في صلاتيــا
(أصلِّي فما أدري إذا مـــا ذكرتُهـــا
أثِنْتَيْنِ صلَّيتُ الضُّحى أم ثمانيـا)
توارتْ وراء الجَمْع ليلى فخـــــانها
فمٌ كابتسام الصبح يأبَى التواريا
وطِيبٌ به خُصَّتْ حوى الطيبَ كلَّه
فهبْه الأقــاحي أو فهبْه الفواغيا
فأحسسْتُ من فرْعي لســـاقيَّ هَزَّةً
كـــأن عيانًا منكِ لاقى عيــانيا
دعونا ومـــا يبقى إذا مـــا فنيتُمو
فـــوالله ما شيءٌ خلا الحبَّ باقيَا
مشى الحبُّ في ليلى وفيَّ من الصِّبا
ودبَّ الهوى في شاءِ ليلى وشـائيا
وإني وليلى لـــلأواخـــر في غـــدٍ
لشُغْلٌ كما كنـــا شغلنا الأواليا

(يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه زياد - تسمع أصوات الحي من قريب)

**ابن عوف :**

**زيادُ أَدركْه أَدرِكْ إني أرى الداءَ عادَهْ**
**لقد تضاءَل قيسٌ واصفرَّ مثلَ الجرادهْ!**
**وليس قيسٌ بمُلقٍ إلا إليك قِيادَهْ**
**الآن أسعى لقيسٍ سعيًا أخافُ فسادَهْ**
**فمِلْ بنا وبقيسٍ حتى يُصيبَ رشادَهْ**

(يحملون قيسًا ويختفون به وراء شجر البان، وتظهر طلائع الحي من اليسار وعلى رأسها المهدي ومنازل، وكلهم شاكي السلاح)

**المهدي :**

**يا قومُ إن البغْيَ شرٌّ مركَبُهْ والخيرُ في جانب من يُجَنِّبُهْ**
**هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكِبُهْ وإن قيسًا في الرِّكاب يصحَبُهْ**
**جاء يرومُ صِهْرَكم ويَخْطُبُهْ وقد علِمْتُمْ كيف ساء مذهبُهْ**
**وكيف طال بابنتي تَشَبُّبُهْ**

صوت :

كِلْهُ إلى سيوفنا تؤدِّبْهْ لقد وجدناه وكنا نَرقُبْهْ

المهدي :

لا، دمُ قيسٍ دمُنا لا نَقرَبُهْ يكفيه مِنَّا أننا نُخَيِّبُهْ

ونَصرِفُ الأميرَ عمَّا يطلبُهْ

صوت آخر :

شيخَ الحمى لا تضعُفِ ولا تـــــــــردَّدْ وقف

ذُدْعـــن عقيلة الحمى وامنع حياضَ الشرَفِ

لا تُصْغِ للشـــــافع في قيــس ولا المستعطِفِ

ليس ابنُ عوْفٍ في الذي سعى لـــــه بالمنصِف

أبِالأمير بعــد مـــــا أجـــار قيسًا تحتفي؟

لَا تخشَ بأسَه ومـــــن رجـــالـــه لا تخف

نحن كعثمانَ وليلى بيننا كالمُصحَف

(يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم زياد)

ابن عوف :

عِمْ أبا ليلى صباحَا

المهدي :

عِمْ صباحًا يابنَ عَوْف

ابن عوف :

قل لهم يُلقُوا السلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوف

صوت من الحى :

يابـنَ عـوفٍ يـا أمـيرْ ليـس ذا شـأنَ الوُلاةِ
كيـف تَحمـي وتُجـيرْ مُسـتبيحَ الحُرُمـاتِ؟

ابن عوف :

عامِـرُ يـا أجـاوِدَ البِطـاحِ وأسـمَحَ النـاس بُطونَ راحِ
ما لي وللسيوف والرمـاحِ؟ ضيفٌ أنا ومـــا من السّماح
رَدك وجهَ الضيف بالسلاح مـــا جئتُكم يا قومُ للكفاح
بل جئتُ للتوفيق والإِصلاحِ

(تحـدث ضجـة في جانـب الحـي وتصايـح وتهامـس ثـم يلقـي كثـير منهـم السـلاح ويغمـد السـيوف)

صوت من الحي :

يـا أبـا ليـلى بليـلى جُـدْ لقيـسٍ بالحيـاةِ
إنـه شـاعرُ نجـدٍ ونَجِـيُّ الظَبيَـاتِ

صوت آخر :

قيسٌ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلًا لذَمٍّ

نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم

هبوه جُنَّ بليلى ليس الغرامُ بجُرم

منازل (حيث يستقبل الجمعين خطيبًا) :

إن قيسًا معشرَ الحي أخٌ وابنُ عمٍّ أفمنه تبرءونْ؟

أصوات :

لا ورَبِّ البيت

منازل :

أصغوا لي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنونْ

إن قيسًا شاعرُ البيد الذي لا يُجارَى أفأنتم مُنْكِرونْ؟

أصوات :

لا وربِّ البيت

منازل :

أصغوا لي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنونْ

إن قيسًا سيِّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات، أفيه تمترون؟

أصوات :

لا وربِّ البيت

منازل :

أصـــــغـــــــوا الي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنونْ

إن قيسًا قد بنى المجدَ لكم ولنـــجدٍ أبقيسٍ تكفـــرون؟

أصوات :

لا وربِّ البيت

منازل :

أصـــــغـــــــوا الي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنونْ

إن قيسًـا كامـلٌ في عقلـه أوآنسـتم عـلى قيسَ الجنون؟

أصوات :

لا وربِّ البيت

منازل :

أصـــــغـــــــوا الي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنونْ

أنا لم أعدِلْ بقيسٍ شـاعرًا لا ولا أنتم بقيسٍ تعـــدلون

أصوات :

## لا وربِّ البيت

منازل :

أصـــــغـــــــوا الي إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون

أنا في وُدي وإعجـــابي به لا يدانيني الـــرواةُ المعجَبون

شـــعرُه يبقى ويفنى غيرُه ليس كلُّ الشعر تَرويه القرون

شعرُ قيس عبقريٌّ خـالدٌ ليته لم يتخـــلَّله المجُـــون

ولو ان المتجني شـــاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون

رُبَّ شعرٍ قال في ليلى، بـه هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون

إنني أخشى عليكم عارَه رُبَّ عـارٍ ليس تمحوه السِّنونْ

ضجرتْ ليلى وضجَّت أمُّها وأبوهـــا وتأذَّى الأقـربون

وغَدا كلُّ فتى من عـــامِرٍ حين يلقى الناسَ، مَحْنِيَّ الجبين

أصوات كثيرة :

## هو ما قلت

منازل :

إذن مـــــا بالُـــكـــم لم تثوروا، ما لكم لا تغضبون؟

هو ذا قيسٌ مع الـــوالي أتى يطأُ الحيَّ وأنتـــــم تنظرون

وأبو ليلى امـــرُؤٌ أدرِي له رِقَّةَ القـلب وأخْشى أن يلين

بعدَ حينٍ يعبَثُ القومُ بكم ومـــــن الحيِّ بليلى يخرجون

آن يا قـومُ لكم أن تعلموا أن قيسًـــا هتك الخدرَ المصون

قيسُ لم يترك لليلى حُـرمَةً ما الذي أنتم بقيسٍ فـــاعلون

صوت :

ماجِنٌ لا بدَّ من تأديبه

صوت آخر :

إن بالسَّوْط يُرَبَّى الماجنون

صوت :

نأخذُ الحيَّ عليه

آخر :

ولنقفْ دون ليلى وحماها كالحصون

منازل :

حلَّل السلطان بالأمس لكم  دمَ قيسٍ ما الذي تنتظرون؟

صوت :

حلَّل السلطان بالأمس لنا  دمَه

أصوات أخرى :

إنا بقيسٍ فاتكون

(ضجيج واندفاع)

صوت :

مُنازِ يابنَ العم ما هذا الخبرْ؟  رفعتَ قيسًا فجعلتَه القمرْ

والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ  كفعل جزار اليهود بالبقر

برَّأها من العيوب وعَقَرْ!

(يصعد بشر منبرًا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس)

قائل :

إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ  وخطيب

يسأل أحدهم :

ليت شعري من يكونْ؟

آخر :

**أوأعمى أنت هذا بشرُ**

آخر :

**هـل يحسـن الخُطبـة بـشرٌ ويُبـين**

(يحاول منازل أن ينسل من الجماهير)

بشر :

**قف منازِ اسمعْ سمعتَ الرعد من**

**جـــانبيْ صـــــاعقةٍ فيها المَنون**

**وسمعتَ الذئب في جَـــوْز الفَلا**

**وسمعتَ الليثَ في جَوف العرين**

**أخطيبٌ أنـــت أم خـــطبٌ وإن**

**لم تَهُن والْخطبُ أحيـــانًـــا يَهُون**

منازل (صائحًا) :

**بشر ...**

بشر :

**قف!**

منازل :

ما لك يا بشرُ ولي؟ إن حربَ الأهل والصحب جُنون

بشر :

لِمْ إذن حاربتَ قيسًا لم تصُن حرمةَ ابنِ العم أو حقَّ الخَدينْ؟

منازل :

قلتُ بشرُ الحقَّ

بشر :

خـــــلِّ الحق مـــا أنت والله على الحـــــــق أمِين

إنّما أنت لقيسٍ حاسدٌ منطوي الصدر على الحقد المَهين

كلما حدَّثتَ عنه عامرًا قرأتْ في وجهـــك الداءَ الدفين

ترسِلُ الزفرةَ تتلو أختَها وتَفُشُّ الصـــــدرَ من حين لحين

يا منازِ يابن عمِّي أصغ لي أنـــت دونٌ أنـــت دون أنت دون!

منازل :

دعوني

بشر (من المنبر) :

دعوني فلا بدَّ لي

رجل :

أناتك

بشر :

لا بد أن أقتلهْ

منازل :

دعوني

بشر :

دعوني

رجل :

دعوه اتركوه

آخر :

ومن كتَّفَ النذلَ أو كبَّله

منازل :

دعوني

رجل :

دعوه

آخر :

كلا البطلَيْنِ يقولُ الوعيدَ ولن يفعلَهْ

بشر :

دعوني

رجل :

تقدَّمْ

منازل :

دعوني

رجل :

انطلِقْ

بشر :

دعونيَ

رجل :

جِئْهُ

منازل :

دعوني

رجل :

امْشِ لَهْ

آخر :

تنحَّوْا وخلُّوا سبيلَيْهما ولا تخشوُا الوقعةَ المقبلهْ

بشر :

منازلُ في عقله كاملٌ

منازل :

وعقلك يا بشرُ ما أكملهْ

بشر :

أننزو على الحي نَزْوَ الديوك ونقفِزُ كالأكبُش المرسلهْ

وتَفلَقُ رأسي كرُمـــانــة وأفلَقُ رأسَكَ كالحنظلهْ

فماذا يردُّ عليك العـــويلُ وما ذا انتفاعيَ بالولولهْ؟

زياد :

منازلُ كنت كثير الكلام ووالله ما قلتَ إلا الكذبْ

صوت :

أتزعمُه كاذبًا يا زيادُ وقد ذاد عن حُرمات العربْ؟

زياد :

رويدَك لا تنخدِع يــا فتى ولا تأخــذ الأمرَ دونَ السببْ
فلم يبغِ إلا خداعَ الجموع وجلْبَ الظنون وخلْقَ الرِّيَبْ
وأثَّر فيكم وفي آخــرين وأفــرغ فيكم سُمومَ الرُّقُبْ

صوت :

منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعَظَّمَةٍ من قديم الحِقَب

زياد :

تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وجهلَك ماذا عليهم جلَبْ!
أجــل قد غضبتَ ولكنما لنفسك ليس لليلى الغضب
تحضُّ على قَتل قيسَ الرجالَ لتحظى بليلى إذا مــا ذهب

أصوات :

يُريدُ ليحظى بليلى

زياد :

نعم!

صوت :

تكلم

صوت آخر :

أَبِنْ

ثالث :

إن هذا عجب!

زياد :

سلوه ألمْ يَكُ يَغشَى النَّدِيَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب؟

صوت (يخاطب المهدي) :

إذن كان يخطبُ ليلى

المهدي :

نعم

صوت :

إذن قد تجنَّى

صوت آخر :

إذن قد كذَب!

زياد :

منازلُ قل لهمو كم ضرعت لليلى وكم أعرضتْ لم تُجِبْ

صوت :

**منازلُ اخدعْ وغُشَّ غيري**

آخر :

**قد جاز إلَّا عليَّ كِذْبُكْ!**

ثالث :

**مـا أنـتَ إلا جـوٍ شـقيٌّ تحـبُّ ليـلى ولا تُحِبُّكْ!**

(تحـدث ضجـة حـول منـازل ويقـف ثلاثـة رجـال في ركـن قـصي مـن أركان المـسرح يتحدثـون)

الأول :

**قد اختلف الحيُّ في أمر قيسٍ وليلى فكـــلٌّ له مذهبُ**

**وأنـــــت إلى أيِّ رأي تميلُ وأي الفريقين تستصْوِبُ**

الثاني :

**إذا صدقت نظرتي في الأمور ولي نظرةٌ قلَّمـــا تكذِبُ**

**منازلُ غـــــــادٍ على خيبةٍ وقيسُ على فضله أخْيَبُ**

**وقد يُخفقان ويلقى النجـاحَ غريبٌ له فيكمو مأرب**

الأول :

غريبٌ؟

الثاني :

أجل من نواحي ثَقِيفٍ

الأول :

ومَن ذاك؟

الثاني :

وَرْدُ

الأول :

وما يطلُبُ؟

الثالث :

رأيناه في الحي يمشي الحياءَ وقيل أتى عامرًا يخطُبُ

الأول :

وليلى ابنةُ الشيخ ما رأيُها أما من حسابٍ لها يُحسب؟

الثاني :

أراها وإن لم تَخطَّ الشبابَ عجوزًا على الرأي لا تُغلَب

تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطي التقاليدَ ما توجب

وبالجـــاهلية إعجـــابُها إذا قـل بالسلف المعجَبُ

ومن سُنَّة البيد نفضُ الأكفِّ من العـاشقين إذا شبَّبوا

فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحـــدث عنه ويُستغرب

وإن رضِيَتْ وردَ بعلًا لهـــا وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب

فيا طـــالما التمست مهربًا وأرضُ ثقيفٍ هي المهرب

منازل :

بني عامرٍ لا تُضِيعوا الحُلومَ فـــإن الأناة بكم أجملُ

هبـــــوا ليَ آذانكم إنني أجدُّ وصـــاحبُكم يَهزِلُ

خطبتُ وأخطبُ ليلى غدًا ومـــا ليَ يا قومُ لا أفعلُ

وقد تُعرِضُ اليومَ ليلى فلا أضيقُ، عسى في غدٍ تُقْبِلُ

فما قيسُ أجـــدرُ مني بها ولا هو خيرٌ ولا أفضـــل

زياد :

إليك منـــــازلُ! لا تتَّزِنْ بقيسٍ قد اختلف المنزلُ!

ولا يستوي الشاعرُ العبقري ومن هـــو مِن باقلٍ أبقل

**منازل :**

**وما أنت؟ بيِّنْ لنا يا زياد**

**زياد** (ممسكًا بذراع منازل) :

**ستعلم منِّي ما تجهل**

**هلُمَّ مُنازِ، هلمَّ الصراعْ!  وودِّعْ ضلوعَكَ وانْعَ الذراعْ**

**منازل :**

**خلِّ زيادُ خلِّ عن ذراعي**

**زياد :**

**سألتَ ما أنت؟ فأصغِ، راعِ**

**إني أنا ممزِّقُ الأضلاع!**

(ثم يجره من ذراعه ويمضي به إلى خارج المسرح)

**صوت :**

**ماذا يكون يا ترى؟**

**آخر :**

**هيَّوْا نرى هيَّوْا نرى**

**آخر** (وهم يتدافعون) :

**زيادُ غيرُ هازلِ**

**آخر** :

**نوحوا على منازلِ**

**آخر** :

**حمامةٌ وبازي**

**آخر** :

**هلكتَ يا منازِ!**

**آخر** (من بعيد) :

**أُهرب من البرازِ**

(يخلو المسرح الآن إلا من المهدي وابن عوف ونصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر)

**مهدي** :

**ما بقيسٍ يابنَ عوف؟**

**ابن عوف** :

**إنه مغمًى عليهْ**

**مهدي :**

**قيسُ لا بأسَ عليك كبِّروا في أُذُنيْهِ**

**صوت** (من وراء الشجر) :

**الله أكـــبر الله أكـــبر**

**ابن عوف** (لنفسه) :

**سُدًى كبِّروا مـا أُذْنُ قيسٍ مفيقةٌ**

**وإن سكبوا فيهـــا أذانَ بِلال**

**ولكن على ليلى يُفيقُ وشبهها**

**إذا ما بدتْ ليلى بشكلِ غزال**

**ويصحو على ليلى إذا رُدِّدَ اسمُها**

**وراءَ بُيوتٍ أو وراءَ رِحـــال**

**المهدي :**

**دَمُ الوُدِّ والقُربَى وإن كان ظالمًا عـزيزٌ علينـا أن نراه يسيل**

**وإني لإنســـــانٌ وإني لوالدٌ ولي مذهَبٌ في الوالدين جميل**

**فرفقًـــا بقيس يا أميرُ ونَحِّه بعيدًا الـعـل الشرَّ عنه يزولُ**

ابن عوف :

أنـــاةً أبا ليلى وحِلمًا ولا يَكنْ ... عليك لطغيـــان الظنون سبيل

رددتم ركابي واتهمتم زيارتي ... وأجلبَ فِتيـــانٌ وضجَّ كهول

تـأملْ تجدْ جَمْعًا مَغِيظًا وكثرةً ... تصولُ وما تدري علامَ تصول!

رءوسٌ تنَزَّى الشرُّ فيها وراءَها ... نفوسُ ذئـابٍ مـــا لهن عقول

تطلَّبُ أن يُلقى إليهـــا بجُثَّةٍ ... على غير جـــوع أو يُساقَ قتيل

نواظرُ مـــا يأتي به اليومُ من دَمٍ ... وإن لم يُساورْها صدًى وغليل

نزلتُ فلم أُكرَمْ فهل أنت مُتبعي ... وقومُك نارَ الطَّرد حين أميل؟

أَبَيْتُم عليَّ القولَ قبـــل استماعه ... فلم تُنصفوا والمنصِفون قليـــل

فهل لي أبا ليلى بنـــاديكَ وقفةٌ ... فإن الذي قـد جئتُ فيه جليل

وما أنا مَرْءُ السوء أو رجُلُ الأذى ... ولكنْ سفـــيرٌ خيِّرٌ ورســـول

ولم أتخذْ جاهَ الأمـــــور ذريعةً ... ألا إنما جـــــاهُ الأمور يزول

المهدي :

بقيتم بخير يا وُلاةَ أميةٍ ... ولا زال يقوى ركنُكم ويطول

(مشيرًا إلى باب الخباء)

هنا مجلسُ نـــأوي إليـه لعلني أقولُ صوابًا أو عساك تقول

وثَمَّ ترى ليلى وتسمعُ قـــولَهَـا وليلى لهـــا رأيٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدي ما جوابُها إباء وردٌّ أو رضى وقبـــول

(يهم ابن عوف بخلع نعليه)

المهدي :

أتخلَعُ نعليك لا يابنَ عوف نَشَدتُـــك بالله لا تفعل

أتمشي إلى منزلي حـــافيًا فديتُك، من أنا؟ ما منزلي؟

ابن عوف :

خلعتُهما وانتعلْتُ الترابَ إلى خَيْمة السيِّدِ المفضِلِ

نصيب (متدخلًا) :

دعْه يا مهديُّ يفعل إنما يَـــرمِي لمعنى

كـــالحسيْنِ بنِ عليٍّ هو بالعشاقِ يُعنَى

الحسينُ انتعل التربَ إلى والـــــد لُبنَى

فرآه حافيًا في ساحة الدار فجُنَّا

قـــال لا أملِك يابن المصطفى بنتًا ولا ابنا

أنت في الـــدار أميرٌ فبما شئتَ فمُرنـــا

(لنفسه)

يـا دهـــــر دُرْ بـما تشـا ويـا حـوادثُ اهـزِلي!

ويـــــا وظيفـةُ اعـزُبي ويـا جـــرايةُ ارحـلي

يبغي ابنُ عـوفٍ أن يكو نَ كـــالحسيْنِ بنِ علي!

(يدخلان وينادي المهدي)

هو الضيفُ يا ليلَ هاتي الرُّطبْ وهـاتي الشِّواءَ وهاتي الحَلبْ

وهـــــاتي من الشهد ما يُشتَهى ومن سَمنَة الحيِّ مـــا يُطَّلَبْ

فما هـــــو ضيفٌ ككلّ الضيو ف ولكن أميرٌ كريمُ الحسَبْ

ليلى (من وراء حجاب) :

أبي ألفَ لبَّيْك!

ابن عوف :

لا بـــــــل قفـــــي فما بي ظَماءٌ ولا بي سَغَبْ

وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأن أبـاكِ جوادُ العربْ

ولكن طعاميَ

المهدي :

ماذا؟ اقتَرِحْ

**ابن عوف :**

**طعامُ الرسول بلوغُ الأرَبْ**

**المهدي :**

**إذن قفي ليلى اقرُبي**

(تظهر ليلى من وراء الستر)

**تقدَّمي ورحِّبي**

**حلَّ ابنُ عوفٍ دارَنا**

**ليلى :**

**أكرمْ به وأحببِ!**

**قد زارنا الغيثُ فأهلًا بالغمام الصَّيِّب**

**ابن عوف :**

**أهـلًا بليلى بالجمالِ بالحِجى بالأدبِ**

**عشتِ وقيسًا فلقد نوَّهتما بالعــرب**

**ليلى** (بين الخجل والغضب) :

**أتَقْرِنُ قيسًا بنا يا أميرُ؟**

ابن عوف :

ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ

ومَنْ أنا حتى أضُمَّ القلوبَ وأعطفَ شكلًا على شكلِهِ

لقـــد جمعَ الحبُّ رُوحيْكما ومـــا زالَ يجمعُ في حبلِه

ليلى (في استحياء) :

أجلُ يا أميرُ عرَفتُ الهوى

ابن عوف :

فهلَّا عطَفْتِ على أهله؟

(يلتفت إلى المهدي)

أبا العامريَّةِ قلب الفتاةِ يقـــول وينطِقُ عن نُبْله

فـــأصغِ له وترفَّقْ به ولا يسْعَ ظُلمُك في قتـله

المهدي :

أأظلم ليلى؟ معاذَ الحنـان! متى جـار شيخٌ على طفله؟

هو الحُكْمُ يا ليلَ ما تحكمين خُذي في الخطاب وفي فصله

ليلى :

أقيسًا تريد؟

ابن عوف :

نعم

ليلى :

إنَّه مُنَى القلب أو مُنْتهَى شُغله
ولكن أترضى حجـابي يذالُ وتمشي الظنونُ على سِـدْله
ويمـشي أبي فيَغضُّ الجبينَ وينظرُ في الأرض مـن ذلِّه
يداري لأجلي فضولَ الشيوخ ويقتلُنِي الغمُّ مـن أجـله
يمينًا لـقيتُ الأمرَّيْنِ من حمـاقة قيسٍ ومـن جهله
فُضحتُ به في شِعابِ الحجازِ وفي حَـزْنِ نجدٍ وفي سهلـه
فخذْ قيس يا سيدي في حماك

(في حياء وإباء)

وأَلْقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يَفْتكِرْ ساعةً بالزواجِ ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِهِ

ابن عوف :

إذن لـن تقبلي قيسًا ولـن تَرضَيْ به بعلَا
إذن أخفق مسعايَ وخاب القصدُ يا ليلى

ليلى :

على أنك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا

وأوصيكَ بقيسَ الخيرَ لا زلتَ له أهلا

لقد يُعوِزُه حـامٍ فكنْه أيهـــــا المَوْلى

(تلتفت إلى أبيها وكأنما تحاول أن تحبس في عينها دموعًا)

أبي كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى؟ ما يبتغي؟

المهدي :

جاء يخطُبُ

ابن عوف :

ومن وَردُ يا ليلى وهل تعرفينه؟

ليلى :

فتى من ثَقيفٍ خالصُ القلبِ طيِّبُ

أتى خاطبًا بعد افتضاحي بغيره وعاري، أهذا يابن عوفِ يُخَيَّبُ؟

أبي: أين وردُ الآن؟

المهدي :

عند قرابةٍ من الحيِّ ضمُّوهُ إليه ورحَّبوا

فإن شئتِ أرسلنا إليه

ليلى :

ابعَثْ ادْعُهُ وجِئْنَا بقاضي نَجدٍ اليوم يكتب

ابن عوف :

تجاوزتِ ليلى غايةَ السُّخْط فاذكري

عواقبَ رأي قد رأيتِ سخيفِ

ليلى (متهكمة) :

أكنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أنثى ضعيفةٍ

تناهتْ لرأي في الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وقفتي يا ليلَ كانت شريفةً

ولكنْ جزائي كان غيرَ شريفِ

ليلى :

أنظِّفُ ثوبي يا أميرُ فطالما ظهرتُ به في الحيِّ غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنتِ يا ليلى بوردٍ قريرةً فإني على قيسٍ لِجِدُّ أسيف

(ثم يخاطب أباها)

**أَلان بحفظ الله يا سيد الحمى  لقد طال لُبثي عندكم ووقوفي**

**ووُفِّقْتِ يا ليلى**

**ليلى :**

**لقد كنتَ سيدي  حليفًا لقيسٍ، هل تكونُ حليفي!**

**ابن عوف :**

**سألتِ مُحالًا إنما جئتُ خاطبًا  لورد القوافي لا لورد ثَقيف!**

(يخرج من باب الخباء ويشيعه المهدي إلى ما وراء شجر البان)

**ليلى :**

**ربَّاهُ ماذا قلتُ! ماذا كـــان مِن**

**شأن الأمير الأرْيَحِيِّ وشاني؟**

**في موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسنًا**

**فيه وكنت قليلةَ الإحســـان**

**فزعمتُ قيسًا نالني بمســـاءَةٍ**

**ورمى حجابي أو أذال صِياني**

**والنفسُ تعلَمُ أن قيسًا قــد بنى**

**مجدي وقيسٌ للمكـــارم بان**

لـــــولا قصـــــائده التي نوَّهن بي

في البيد مـــــا عَلِمَ الزمان مكاني

نجدٌ غدًا يطوَى ويفنَى أهـــــلـــــه

وقصيد قيسٍ فيَّ لـــــيس بفـــان

ما لي غضِبْتُ فضاع أمري من يدي

والأمـــرُ يخرجُ من يد الغضبان

قالوا انظري مـــــا تحكمين فليتني

أبصرتُ رشدي أو ملكتُ عِناني

ما زلت أهذي بالوساوس ســاعةً

حتى قتلت اثنين بالهذيـــــــان

وكـــــأنني مـــأمورةٌ وكـــــأنما

قد كـــان شيطـــانٌ يقودُ لساني

قدَّرتُ أشيـــاءً وقدِّر غيرهـــــا

حظٌّ يخُطُّ مصـــايرَ الإنســـان

# الفصل الرابع

## المنظر الأول

(حول ديار بني ثقيف، في قرية من قرى الجن، حيث اجتمعت طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالًّا في الفلوات، وبينهم شاب منهم في شكل إنسي جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه إلى قدمه، وعلى رأسه عقالان من الحرير المحلى بالذهب، هو الأموي شيطان قيس - الجميع ينشدون ويرقصون)

**نشيد الجن :**

**هذا الأصيلُ كالذَّهبْ يسيلُ بالمرأَى العجبْ**

**على الوهادِ والكُثُبْ**

**الرقصُ يبعثُ الطربْ هلمَّ يا جنَّ العـــربْ**

**هلـمَّ رَقصـةَ اللَّهَـبْ إذا مشَـى عـلى الحطـبْ**

**نحنـو بنـــو جهَنَّـمَا نغـلِي كـما تغـلي دَمَـــا**

نثــور في الأرضِ كــما ثــارَ أبونـــــا في الســما
نحــن بنــو الجبـــارِ العــلَـــــمِ المنـــــارِ
إبليــسَ بِكــرَ النـــار يــا عــزَّ مــن لــهُ انتمــى
نحــن الرُّعُــودُ القاصفــهْ نحــن الريـــاحُ العاصِفــهْ
والظلــماتُ الـــزاحِفَهْ عرمرَمًـــــا عرمرَمَــا
لنــا ومــا لنــا صُــوَرْ نــرى ونســمَعُ البــشر
ولا يَــرَوْنَ مــن حــضَرَ منــا ومـــــن تكلــما
نقــول حــينَ نصطــدمْ بســـــادةٍ أو بِخَــدم
صمــم صمــم صمــم صمم عمًـــى عمًى عمًى عمَى

هبيد :

فيــمَ اجتمعْنــا هَهنا؟ يا عضْرَفُوتُ ما الخبر؟

عضرفوت :

لا أدرِ ... تلك ضجةٌ حضرتُها فيمن حضَرْ

فسل أخاك عَسَرًا

هبيد :

ماذا هناك يا عسَرْ؟

عسر :

نحن مسوقونَ إلى ما ليسَ ندرِي كالبقرْ

الأموي :

بني الجنِّ في أرضِكم عابرٌ من الإنسِ يرسُفُ في ضُرِّهِ

فغالوا بهِ واعلموا أنه فتًى نبَّه الشِّعْرُ من قدرِه

هبيد :

وأينَ تُرَى هو؟

آخر :

ماذا يكون

الأموي :

وماذا يُهمُّك من أمره

ألم تعلموا أن لي صاحبًا من الإنس أحكُمُ في شعرِه

هبيد :

أجل أنت تُوحِي له ما يقولُ وتقذفُ ما شئت في فكرِه

الأموي :

إذن فاعلموا أنه عاشق تملَّأَتِ البيدُ من ذكره

عاصف :

وأعلـم أن الهـوى واحـد حـوى المسـتهامين في أسْره
وأن التـي سـحرت قلبَـه مدلَّهَـةُ القلـب مـن سـحره

الأموي :

وإني لأكْفُـلُ ليـلى لـــــه وأصرِفُها عـن هوى غيرِه
سَهِرْتُ على طُهر ليلى الزمـانَ ولم أغمِضِ العينَ عـن طُهْرِهِ
صرَفتُ عن الحب حتى الزواَج ومـــا قدَّسَ اللهُ مـن سِره
ولـــو أنَّ عيني تَشقُّ القـبور سهِرْت على الحـبِّ في قبره!

عضرفوت :

ومن يكون

الأموي :

قيس

عضرفوت :

من قيس؟

عاصف :

وهل يخفَى القمرْ!

الشاعرُ الذي سحر والســـاحر الذي شَعَر
حَنْجَـرَةٌ لنـا وتـرْ منهـا وللإنـس وتـر

هبيد :

وما لنا يا عضرفوتُ ولِفتيـــــان الـبشرْ ؟
ومـا لقِينـا منهمـو ومـن أبيهـم غـير شر !

عضرفوت :

بني الجنِّ اسمعوا أبِكم زكامٌ

جني :

ولِمْ؟

عضرفوت :

نَتَنَتْ لعَمركُمو الجواءُ

آخر :

وما في الجو؟

عضرفوت :

ريـــــحُ آدمـــــيٌّ ففيـه نَتـانةٌ ولـه ذَكاءُ
إذا البشريُّ مرَّ عليَّ يومًا فقَد مرَّت عليَّ الخُنْفَسـاءُ

جني :

أجـل بعـداوة البَـشَرِ ابتُلِينـا وطـال بهـا التـبرُّمُ والعَنـاء
مـضى بالكـبر إبليـسٌ أبونـا وكـــلُّ تـراثِ آدمَ كبريـاء
يَعيـب رجالُهُـم فيقـال عبنا وتَدْفِنُ عــارَهَا فينا النسـاء
وإن عَجـزَ المطبـب قـال داءٌ مـــن الجنِّي ليس لــه دواء
وإن قَفَزَتْ صغارهمو فزلَّت فمنــا معشرَ الجنِّ البـــلاء
وخِفنا من أذاهم فاحتجبنا فما عصم الحجاب ولا الخَفاء
وكـم متعـوذٍ بـالله منـــا تعـوذ الأرضُ منـه والسـماء!

عضرفوت :

وقد نشكو من الناس التجني وننسى مـــا جنـــاه الأنبيـاء

جني :

أرُسْلُ الله أيضًا من عِدانا؟

عضرفوت :

أجل هم في عداوتنا سَواءُ

بنى فخمًا سـليمانٌ وضخمًا ولـــولا الجنُّ ما نهضَ البناء
بنينـا تدمـرَ الكـبرى بأيـدٍ فهـلْ تدرونَ مـا كان الجزاء؟

جني :

وما كان الجزاء؟

آخرون :

أَبِنْ

عضرفوت :

عذابٌ وسجن ما لمدَّته انقضاءُ!

فتَحْتَ المَاءِ

جني :

تحتَ الماءِ

عضرفوت :

عانٍ عليهِ طلاسم وعليه ماءُ!

وفي جوف القماقم لو علِمْتُم

آخرون :

وماذا في القماقم؟

عضرفوت :

أبرياءُ!

جني :

**ومن ذا زجَّهُم فيها**

عضرفوت :

**أميرٌ علينا لا يُرَدُّ له قضاء**

**نبيٌّ فهو عدلٌ حيثُ يَقضِي ومَلْكٌ فهو يفعلُ ما يشاء!**

عاصف :

**قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من البشر**

جني :

**قيس منَّا وإنما في بني عامرٍ ظهر**

آخر :

**إنني قد رأيتُه يتفلَّى على الشجر**

ثالث :

**وسمعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجِنِّ واستتر**

رابع :

**أنا أيضًا رأيته ركِبَ الظبيَ في السفر**

**عاصف** (متطلعًا) :

**تعالَوْا فانظروا**

(يتطلع الجميع إلى حيث ينظر)

**جني :**

**ماذا؟**

**آخر :**

**عجيبٌ**

**عضرفوت :**

**نرى شبحًا يُدحرِجُه الفضاءُ**

**أقيسٌ ذا؟**

**عاصف :**

**نعم هو فاستعدُّوا فقد وجب التحفزُ واللقاء**

**هبيد** (لجني آخر) :

**تأمَّلْ قيسًا المُضنَى تجدْه من الذَّوَبان أصبح كالخيَالِ**

**الآخر :**

**لقد ضلَّ الطريقَ أما تراهُ يُصفِّق باليَمين وبالشِّمال؟**

**وقد قَلَبَ الثيابَ عليه نَهْجًا على عاداتِهم عند الضلال**

(يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون)

سـلامٌ مَلِـك الحـــبِّ وسـلطانَ المُحبينـا
وأهـلًا وعـلى الرحـبِ لقـد شُرِّفَ وادينـا
أتـى الجـنُّ من الـوادي يُحيُّونَك بالـــورد
حـدا ركبَهـم الحـادي إلى ناديـك من بُعْدِ

(يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال)

رَب إلى أين انتهت بيَ السُّرى وأيَّ وادٍ أنـزلتَني يـا تُـرى
عسايَ في الشـامِ لعلِّي جُزْتُهُ أو أنا بالطـائِفِ أو أيـن أنا؟
وهذه المُسُوخُ حـولي جِنَّةٌ أم عمَلُ الوهم وتهويلُ الكَرى
لا، أنا صاحٍ

(يتحسس جسمه)

هـذه رِجلِي وذِي يـدي وتلك مُقلتي يَقظَى تَرَى
ولِمَ لا أُومِـنُ بالجـن وأَنْ تكـون للجنَّـة كالنـاسِ قُـرى؟
لا أدَّعـي معرفـةً بعـالَمٍ ظـاهرُهُ أكثـرُ منـه مـا اختفـى

(يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع)

تلك منَ الجنِّ لعَمري شِرْذِمَهْ وهـــذه خيلـــهمو المُسَوَّمَهْ

نعــامة كــالــفرَس المُطهَّمَهْ وأرنـبُ مُسْــرَجَةٌ ومُلْجَـمَه

وقُنْفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهَمَهْ

يا عجبًا كلَّ العجبْ! الجنُّ مني عـن كَثَبْ

سـودٌ دقاقٌ في العيونِ كالدُّخَانِ في الحطبْ

يخـرجُ مـن أفـــواهها ومـن عيونِهَا اللهبْ

مـن كل مَـن جال بقَـر نيْـه وصال بالذَّنَبْ

الجان :

نَبِيَّ الحـــبِّ لا تَخْـش أذًى أو شِـــرَّةً منَّـــا

عَطفْتَ الطيرَ والوحشَا فـلِمْ لا تَعطِفُ الجِنَّا؟

وسَلْ حسَّان والأعشى وشيطـانَيْهِمَا عَنَّـــا

الأموي :

تـــركتُ ورائي الشـــامَ لم أنتفعْ به

ولا هو من شوقي القديم شفاني

وعـــدتُ إلى نجدٍ أقـــاسي صبابتي

ووجـدي كأني ما بَرِحْتُ مكاني

تركتُـــكِ ليلى فـــانفجرتِ ليـــاليـــا

مؤلفةَ الأشـــكـــالِ جِدَّ حِسان

فلم يَخْلُ سيْري منك يومًا ولا السُّرى

ولم يخلُ مـــن تمثالِكِ القمـــران

على كل أرض من هواكِ ســـــوارحٌ

مـــلأنَ سبيلي أو مَلَكن عنـــاني

(وأجهشتُ للتوْبـــــاد حين رأيتُـــه

وكـــبر للـــــرحمنِ حـين رآني)

(وأذريْتُ دمـــعَ العينِ لما عَـــرَفْتُـــهُ

ونـــادى بأعلى صـــوتِه فدعاني)

(يدنو منه قيس ويتأمله)

**قيس** (لنفسه) :

**يا ويحَ عيني مـــا ترى؟ ووَيــحَ أُذْني مـا تَعي!**
**وأين عقلي؟ غاب عني اليومَ أو عقــلي معي؟**
**الشعر لي مُـــذ قــلتُه مـــن شفتي لم يُسمَع**
**مـــــن ذا الذي أوْحَى به لذا الغلام المُدَّعي؟**

(يقترب من الشاب ويأخذ في انتقاده)

**عـــــقالان يَمانيَّـانِ مِـــنْ وَشْيٍ وعِقْيَـانِ**
**يُضِيئَـانِ كلَمْـحِ الـش مـس في جلدةِ ثعبان**
**وأيـن الشَّـــفَقُ الأحمَـرُ من مطرَفِكَ القاني؟**
**وقد تقرُب في الـــــروْ عَةِ من أملاك غسَّان**
**وقـــــد تبلُـغُ في الـش عـر إلى رقةِ حسَّـان**

**فما شأنك يا هذا؟**

**الأموي :**

**وما يَعنيكَ من شاني**

قيس :

أرى سارِق أشعـــارٍ جـــــريئًا ما له ثانِ

فقد يُسـطَى على بيتٍ وقـــد يُسرَق بيتانِ

ولا يَنْتَحِل الإنسـان أبيـــاتًا لإِنســـان

وما أنشَدْتَ من شـــعرٍ فمن صنعي وإحساني

ولم أهتفْ بـــه بعـــدُ ولم تَسْمَعْه أُذنـــان

فمَن أَنت ومِـــن أين أتتْ أُذْنبْك ألحـــاني؟

الأموي :

أنا الملقي عليك الشعرَ مِن آنٍ إلى آن

أنا الهاجس والشيطان

قيس :

لا، لا، لستَ شيْطاني

(ثم يناجي نفسه)

أجل سـمِعتُ باسـم شـيطاني ولكن لم أرَه

أبي وأمـي حدَّثـــا ني في الليـالي خـبرَه

(يعود إلى خطاب الأموي مترددًا)

**ألستَ أنت الأمويّ؟**

**الأموي :**

**لا تَخَفْ أن تذكرَه**

**قيس :**

**مـا أنـت إلا صـورةٌ في عصبـي مصـوَّرَهْ**
**وعبثٌ لـــو كـان عقلي حاضرًا لأنكره**

**قيس** (وهو ينكت الأرض بعود) :

**ويحـي أقيـسٌ واحـد أم نحـن قيسـان هنا؟**
**وأيُّنـا الشـاعر هـذا الأمـويُّ أم أنـــا؟**
**أم الذي بي وبـــه من عَبَثِ السحر بنا؟**
**أم أنـــا مجنـون عَـليَّ حـبُّ ليـلى قـد جنى**

**الأموي :**

**قيس**

**قيس :**

**لبيكَ قيس**

الأموي :

ما أنا قيس

قيس :

من إذَن؟

الأموي :

قلتُ إنِّني شيطانُهْ

قيس :

قيس من آدمٍ فما أنت منه

الأموي :

أنا من قيس عامر وجدانُهْ

قيس :

أنت وجدانيَ؟ استعذتُ بربي منك

الأموي :

لا تستعذ به جل شانُهْ!

هكذا شـاء: كلُّ شـاعرِ قومٍ عبقريِّ اللسـان نحن لسانه

**قيس** (مشيحًا بوجهه ومطرقًا) :

**يـــــا عجَبـا أصبـحَ بالجنِّ لسـانِي يعمُرُ!**
**وصرتُ ينْهَـى مـارِدٌ عـلى فَمِـي ويأمـرُ**
**مـا للسـانِي لا يطـولُ؟ مـا لــه لا يقـصرُ؟**
**يا ليت شعري كيف لا يخرُجُ منه الــشرَرُ؟**

**الأموي** (واضعًا يده على كتف قيس) :

**علامَ قيس فيم أنت مُطرِقٌ مفكِّرُ؟**

**في خبري**

**قيس :**

**أجـــــل ومـــــا صدقْـتَ فيـما تُخبرُ**
**ليـس لسـاني مـــاردًا إن لــسـاني بـشَرُ**

**الأموي :**

**قل وحدَك الشعرَ إذنْ!**

**قيس :**

**تظنُّني لا أقْدِرُ؟**

الأموي :

جرِّبْ إذَنْ قلْ أرِنا  يا قيسُ كيف تَشْعُر!

قيس :

وما تُحبُّ

الأموي :

قـــريـــــةُ الجـــــنِّ  وهـــــذا المنظَـرُ

أليـس فيـما أنـت راءٍ  قيـسُ مـا يؤثِّـر؟

قيس :

إسمع إذن يا أمويُّ!

الأموي :

إنني أنتظر

قيس :

وجوهٌ تَصوّرُ، وفضاءٌ يزهرُ، ورمال في مطارح البصر تزخَرُ،

وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عَبْقَرْ!

الأموي (ضاحكًا) :

قه قه! تعالَوْا واضحكوا!

(تضحك جماعة من الجن)

قيس (في غضب) :

قه قه ... أمِنِّي تسخَرُ؟

الأموي :

ما هكذا يا شاعرَ البيدِ البيوتُ تُكْسرُ

جني آخر :

إنك لا تَنْظُمُ يا قيس ولكنْ تنثُرُ!

الأموي :

مـا لـك قيـسُ مفحَمًا هـذا لعمري الحَصَرُ!

لا يُفحَم الشاعرُ لكن يُفحـــم الشُّـوَيْعِرُ

ما لك كالعُودِ الذي أدبـــرَ عنه الــوتَرُ؟

ما للقوافي الآنساتِ مـنــكَ قيــسُ تنفُرُ؟

كيف ترى لسانَكَ الـ آن

قيس :

عليه حجرُ!

أنـتَ عـلى مشـاعري وشـعريَ المسـيْطِرُ!

إن غبت غاب خاطري وإن حضرتَ يحضُرُ

الأموي :

الآن لا تُنكـــرُنِي قيـــسُ وكنـــت تُنكِـــر !
عجِبْتَ كيف تختفي الجنُّ وكيـــف تظـــهـــرُ
يـــا قيسُ هـــذا عـــالمٌ طِينتُـــه التَّجَـــبُّرُ
تطغَى على رائدهـــــا صحْـــراؤه وتغمُرُ
وغـــــاية المُمْعِنِ في نظـــامِهِ التـــحيُّرُ
مهمـــــا علِمت عنـــه فالذي جهِلْتَ أكثَرُ !

قيس :

يـا أخَـا الجـنِّ لئـن كنـتَ أخًـا لي وخليـلا
أنـــا في أعماءِ أرض لا أرى فيهـــا السبيلا

الأموي :

أين تبغِي قيس؟

قيس :

ليلى كن إلى ليلى الدَّلِيلَا

الأموي :

مِـلْ يمينًـا يا أبا المهـ ديِّ ثـــــم امشِ قليلًا
تَجـد المنـــــزلَ والمـا ءَ الذي يَشـفي العليلا

(ينطلق قيس آخذًا يمينه مهرولًا)

# المنظر الثاني

(في حـي بنـي ثقيـف بالطائـف حيـث تـرى دار ورد عـلى بعـد قليـل - ورد مضطجـع عـلى الرمـل، وبجانبـه رفيـق مـن رفاقـه - يقـترب قيـس مـن الخبـاء مناجيًـا نفسـه)

**قيس :**

**إن قلبـي لمخـبري ... أن هاتيـكَ دارُهـا**
**أنـا بالطائـف الـذي ... قـرَّ فيـه قرارهـا**
**في ثقيـف تنقـلي ... وثقيـف ديـارها**
**مـا لسـاقي جَرَرْتُهَـا ... فتعـايى انجرارُهـا**
**ولقلبـي يقـول لي ... قـد تدانـى مزارُهـا**
**كيف لا أهتدي لليلى ... وفي القلـب نارها**
**ليـت ليـلايَ نُبِّئَتْ ... أنني اليـومَ جارهـا**

(يتبين وردًا وصاحبه)

**عجبٌ! هُديتُ الدارَ بعد ضلالة ... ما كان شيطاني عليَّ كذوبَا**
**هذي منـازلُها وذلك بعلُها ... بعثَتْ إليَّ ديـارُ ليلى الطِّيبـا**

هذا غريمي وردُ أشقر كـاسمه أتُراه أُلبــس جلدَه مقلوبا!
ما بالُه افترش الأديم كـــــأنه بغلٌ يُعَفِّر في التراب جنوبا!

رفيق ورد :

ورد أرى من المدَى القريبِ شخصًا يدبُّ نحونا كالذيب
على خُطاه خَشيةُ المُريبِ

ورد :

لِمْ لا تقولُ خيرة الغريب
لعلَّــه ابــنُ ســبيلٍ يمــرُّ بالحــي مَــرَّا
إني أراه ســــــقيمًا يجــرُّ ســاقَيْه جــرَّا

(ينهض من رقدته قلقًا)

الرفيق :

عرفتَ مَن

ورد :

قيسٌ به الغرامُ أضرَّا

الرفيق :

قيس؟

**ورد :**

**أجل**

**الرفيق :**

**كيف أفضَى إليك؟ كيف تجرَّا**

**ورد :**

**دعني وقيسًا وشأني لعل في الأمر سرَّا**

(ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس)

**قيس :**

**أهذا ورد بني ثَقِيفٍ؟**

**ورد :**

**نعم الوردُ ينبتُ في رُباهَا**

**قيس :**

**وَلِمْ سُـمِّيتَ وردًا لم تُلَقَّـبْ بقُـلَّامِ العشـيرة أو غَضاهـا!**

**ورد** (في سكون وحلم) :

**وما ضرَّ الورودَ وما عليها؟ إذا المزكومُ لم يَطْعَمْ شذاها**

قيس :

(بربَّك هل ضممْتَ إليك ليلى قُبَيْلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها؟)

(وهل رفَّتْ عليك قـرونُ ليلى رفيفَ الأُقْحَوَانَةِ في نداهـا؟)

ورد (بعد فترة وسكون) :

نعم ولا يا قيس

قيس :

بل لا بدَّ من لا أو نعمْ

ورد :

هبْهَا نعمْ يا قيسُ هـل مع الحلال من تُهَمْ؟

المـرْءُ لا يُسـأل: هـل قبَّـل أهلـه؟ وكـم؟

أجـل لـقد قبَّلْتُها من رأسها إلى القدم

قيس (غاضبًا) :

تلك لعمري قُبلةُ الحُمَّى بلاءٌ وسـقـمْ!

أو قُبلةُ الذئبِ إذا الذئـ ـبُ على الشاة جَثَمْ

(يتراجع قليلًا وكأنما يحدث نفسه)

قلبي يقول ليَ: لا! يا صِدْقَهُ فيما زعم!

ورد :

إذن تعالَ قيسُ واسـ ـــمعْ في أنـــاةٍ وكرمْ
لا تجعلـنَّ الغضـبَ الجَائـرَ بيننـا الحَكَـمْ
إسـمع حديثـي إنـه مـا خطَّ مثلَه القلـم
وسـرُّه لا الأهلُ يد رون بـــه ولا الخـدَم
أنـــا الـــذي ظُلِمْتُ قيس لا أنا الذي ظَلَمْ
أَلِيَّةُ ومـــــا عليَّ لك يـــا قيس قسَـمْ
كـــم مرَّتِ الليلةُ بي والليلتـان لم أَنَـــمْ
منذُ حوت داريَ ليلى مـــا خلوْتُ مـن ندَم
كانـت إطافتـي بهـا كـــالوثنيِّ بالصَّنَم
وربـما جئـتُ فِـــرا شَـها فخانتني القـدم
كـــأنهـا لي مَحْـرَمٌ وليـس بيننـــا رَحِـم
شعرُك يا قيسُ جنى عليَّ هـــــذا واجترَم
هيَّبَهـا فـــامتنعتْ كـــأنها صيدُ الحُـرَمْ
وهَبتُها للحبِّ والشـ ـــعرِ وقيـــسٍ والألم

قيس :

وَلْكـن تعـالَ سَرِيَّ ثقيـفٍ أَبِـنْ لِيَ مـا لم تُبَـيِّنْ تعـالَ
تقولُ لَقِيتَ بشعري الشقاءَ وجَرَّ عليك بيـاني الوبالَا
لقـد قلـتَ قـولًا فأوْجزتَـه فبـالله إلا شرحـت المقـالَا

ورد :

إذن أَصغِ قيس

قيس :

قل الصدقَ وردُ

ورد :

وهل كان لي الصدقُ إلا خلالَا

فلولاك ما اخترتُ إلا ثَقِيفًا ولم أُلق للعـامريَّات بالَا
ذهبتُ بشعرك منذ الشبابِ أغنِّي القِصار وأروي الطِّوالَا
أرى بين ألفـاظِه ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القـوافي الخيـالَا
فلما رُدِدْتُ وقيـل القصائد والعشقُ بين المحبَّيْن حـالا
خرجتُ إلى حيِّها خـاطبًا ولم أَدَّخِرْ دون مسعـايَ مالا
بنيْـتُ بهـا فتَهَيَّبْتُهَـا وأيُّ امـرئٍ هاب قبلي الحلالا

فشِعرُك يا قيسُ أصل البلاء لـــــــقيتُ به وبليلى الضلالا

كساهـــــا جمـالًا فعُلِّقْتُهَـا فلـما التقينـا كسـاها جـلالا

إذا جئْتُهـا لأنـالَ الحقـوق نهتْنِي قَدَاستُهـــــــا أن أَنالا

أمْسِكْ أبا المهدي!

(يستحيل كلامه إلى همس، إذ تبدو ليلى على باب الخباء)

أُنْظُرْ هذه ليلى علينا طلعتْ من الخبا

(ثم ينادي بصوت متهدج)

ليـلى تعـالَيْ أسرعـي، قيسٌ أتى ليلى هَناكِ، من تحبِّين هنا

قيس :

أمازحٌ يا وردُ قل أنت أم تَسـخَرُ مني أم تُرَى تَهزَا بنا؟

ورد :

بل قلتُ جِدًّا لم أقلْ مُهازلًا

قيس (هامًّا بالذهاب إليها) :

إذن فدعْها لا تُجَشِّمْها الخُطا

ورد (وليلى تقترب) :

**إِسمعْ أبا المهديِّ همسَ خطوها كـــأنه وَطْءُ الغزال في الحصـا**
**دعوتُ فاهتمَّتْ ولو لم أدْعُها لوَجَدتْ ريحَك من أقصى مدى**
**قيسُ تثبَّتْ واستَعِدَّ، هي ذي أتتْ، فـــــلا يذهبْ بلُبِّك اللقا**

**الآن امضي لسبيلي**

**قيس :**

**بل أَقِمْ إلبثْ أعِنِّي، إنني خُرتُ قُوَى**

**ورد :**

**قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا أنت حبيبُ القلب والزوجُ أنا**
**يا لكما مني ويـــا لي منكما! نحن الثلاثةُ ارتطمنـا بالقضا**

(ينصرف وتقبل ليلى على قيس)

**قيس :**

**ليلاي، ليلى القلب**

**ليلى :**

**قيس ما لي دارتْ بي الأرضُ وساء حالي؟**

قيس :

فـداك ليـلى مهجتـي ومـالي  مـن السَّـقام ومـن الهـزالِ
تعاليْ اشكي لي النوى تعـالِي  ألقِي ذراعيْك على خيـالِ

(تصافحه بشوق)

ليلى :

أحقٌّ حبيبَ القلب أنت بجانبي  أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان؟
أبعد تراب المهد من أرض عامِرٍ  بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان؟

قيس :

حنانيْك ليلى، مل لخلٍّ وخِلِّه  من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلاد قرَّبتْ منك منزلي  وكـــلُّ مكانٍ أنت فيه مكاني

ليلى :

فما لي أرى خدَّيْك بالدمع بُلِّلا  أمِـــنْ فـــرَحٍ عيناكَ تبتدران

قيس :

فداؤكِ ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ  رماكِ بهذا السُّقْم والذَّوبان

ليلى :

تراني إذن مهزولةً قيس؟ حبَّذا  هُزالي ومَن كان الهُزالُ كساني

قيس :

هو الفكرُ ليلى، فيمن الفكر؟

ليلى :

في الذي تجنَّى

قيس :

كفاني ما لقيتُ كفاني

ليلى :

أأدركتَ أن السهمَ يا قيسُ واحدٌ وأنَّا كليْنا للهوى هدفان؟

كلانا قيسُ مذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ

طعينان بسكِّينٍ من العادة والوهم

لقد زوِّجتُ ممَّن لم يكن ذوْقي ولا طَعْمي

ومن يكبُرُ عن سنِّي ومن يصغُرُ عن علمي

غريبٌ لا من الحيِّ ولا من وَلد العمِّ

ولا ثروتُه تَربِي على مال أبي الجَمِّ

فتنحن اليومَ في بيت على ضِدَّيْن مُنْضَمِّ

هو السجنُ وقد لا ينـ ـطوي السجنُ على ظلم

هو القبرُ حوى ميتَيْن جاريْن على الرُّغم

شـتيتيْن وإن لم يَبعُدِ العَظْمُ مـــن العَظم
فإن القربَ بالرُّوحِ وليس القربُ بالجسم

قيس :

تعاليْ نعِشْ يا ليلَ في ظـــل قَفْرَةٍ
من البيـــد لم تُنقَل بها قـــدمان
تعـــــاليْ إلى وادٍ خَلِيٍّ وجَدْوَلٍ
ورنَّةِ عُصفـــورٍ وأيْكَةِ بـــان
تعالي إلى ذكـــرى الصِّبا وجنونه
وأحـــلام عيشٍ منْ دَدٍ وأمان
فكـم قُبلة يا ليلَ في مَيْعة الصِّبـــا
وقبـلَ الهوى ليست بذات معان
أخذْنا وأعطيْنـــا إذا البَهْمُ ترتعي
وإذن نحن خلف البَهْم مستتران
ولم نكُ ندري يومَ ذلك ما الهـــوى
ولا مـــا يعودُ القلبَ من خفقان

مُنَى النفس ليلى قَرِّبِي فاك من فمي

كما لــفَّ مِنقــاريْهما غَــرِدان

نَذُقْ قُبلةً لا يعرِف البؤسَ بعدهـا

ولا السُّقْمَ رُوحانا ولا الجسدان

فــكــلُّ نعيم في الحيــاة وغبطة

على شفتينــا حين يلتــقيــان

ويخْفُقُ صــــدرانا خفوقًا كــأنما

مـع القلب قلبٌ في الجوانح ثان

(تنفر ليلى)

ليلى :

وكيف؟

قيس :

ولِمْ لا

ليلى :

لستَ يا قيسُ فاعلًا ولا لي بما تدعو إليه يدان

قيس :

أتعصِينني يا ليلَ ؟

ليلى :

لـــــــم أَعْـــصِ آمـــــــري ولكنَّ صوتًا في الضمير نهاني

وورْدُ يا قيس؟ وردٌ ما حَفَلْتَ به لقد ذَهَلتَ فلم تجعلْ له شانَا

قيس (غاضبًا) :

تعنين زوجَك يا ليلى

ليلى (منكسة رأسها) :

نعم

قيس :

ومتى أحببْتِ وردًا؟ تُرَى أحببتِه الآنَا!

ليلى :

فيمَ انفجارُكَ؟

قيس :

من كيدٍ فُجِئْتُ به

ليلى :

إني أراك أبا المهدي غيْرانَا

وردٌ هو الزوجُ، فاعلمْ قيسُ أن له حقًّـا عليَّ أؤدِّيه وسلطانَا

قيس :

إذن تحابتما

ليلى :

بـل أنـت تظلـمني فما أحبَّ سواك القلبُ إنسانَا

ولستُ بارحـةً من داره أبـدًا حتى يُسرِّحَني فضلًا وإحساناَ

نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ إلا إلى الرحمن بلـوانَا

قيس :

بل تذهبين معي!

ليلى :

لا لا أخـون لهعـهـدًا، فما حاد عن عهدي ولا خانا

فتًى كنبْع الصفا لم يختلفْ خلُقًا ولا تلوَّنَ كـالفتيان ألوانا

قيس (متهكمًا) :

أراكِ في حبِّ وردٍ جِدَّ صادقةٍ وكان حبُّكِ لي زورًا وبهتانًا

**ليلى :**

**قيس!**

**قيس** (صارخًا) :

**اتركيني بـلادُ الله واسـعةٌ!  غـدًا أبـدِّلُ أحبابًـا وأوطانا**

(يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى)

**ليلى :**

**العقلَ يا قيس!**

**قيس :**

**لا خَلِّي الرداءَ دعي**

(ثـم يفلـت منهـا ويندفـع إلى سـبيله تـاركًا إياهـا باكيـة في هيئـة اسـتعطاف)

**ليلى :**

**وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا!**

**واهًـا لقيـسٍ وآهٍ مـا صنعا؟  أكثرَ قيسٌ بلواي والوجعا**

(تدخل عفراء)

**عفراء عندي**

عفراء :

لبَّيْك سيدتي الصبرَ واستدفعي به الجزعا

ليلى :

لقد سمعتِ الحديث كيف إذن صبري على ما جرى وما وقعا؟

قلتُ لقيس مقـــالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بـــالًا لـــه ولا سمِعـا

وقيـــسُ ذو جِنَّة وإن زعموا جنونَـــه مـــدَّعًى ومصطنعًا

تحير النـاسُ في جنـــون فتًى لا عقـــلَ إلا بشـــعره ولِعا

والله لو جـــاء في محاسنةٍ يسألُ وردَ الطـــلاقَ ما منعا

فوردُ يا عفرَ لا كِفَاء لـــه مـروءةً في الرجـال أو ورعا

آه من من السُّقم

عفراء :

ألفَ عافيةٍ

ليلى :

آه من الحادثات

عفراء :

ألفَ لَعَا

ليلى :

أنا عُذريَّة الهوى أحملُ العبْء وإن نـــاءَ بالصبـــابة جهدي
المحبَّات ما بكيْن كـدمعي في الليالي ولا أرِقـــن كسُهدي
ويح قيسٍ وويحَ لي أي ثارٍ للمقـــادير عند قيسٍ وعندي
أتعب الحيَّ داءُ قيسٍ ودائي وتعـــايى الـدواءُ كُهَّانَ نَجد
لا الحواميمُ تَصرِفُ الجنَّ عنا حين تُتلَى ولا رُقَى السحر تُجدي
أبقيسٍ وبي هـوى عبـقريٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردي
عِلَّةُ البيد مـن قـديـمٍ وداءٌ ضـاعَ فيه الرُّقى وحار المُفَدِّي
ما سلاحـاه حين يقتـلُ إلا مـــن عفافٍ ومن وفاءٍ بعهد
لم تُعَذَّبْ بالحب عذراءُ قبلي كعـــذابي ولـــن تُعَذَّبَ بعدي

عفراء :

هي عذراء؟ ربيَ اشهدْ!

ليلى :

أجلْ عذراءُ حتى يضمَّني ركنُ لحدي

عفراء :

والذي أنتِ تحتَه

ليلى :

تحـــــــــت بـعـــــلٍ غير ذي جَفـــوةٍ ولا مستبدِّ

راعني اللومُ من جميع النواحي فتـــواريْتُ في مُـــروءةِ «ورد»

(يقبل ورد وقد سمع آخر ما تقول)

ربِّ ماذا سمعت؟ ليلى شكورٌ لك نفسي الفِداءُ يا بنتَ «مهدي»

ليلى :

ورد

ورد :

ليلى

ليلى :

رُحماكَ وردُ وعفوًا كنتُ أخفي الجوى فأصبحتُ أبدي

ورد :

مـا بليـلى؟ مـاذا أثاركِ ليلى؟ هدِّئي روْعَكِ المُفزَّعَ هَدِّي

ليلى :

الـــــداءُ يا وردُ فيَّ مجتـــهـد ملتهِمٌ هيكـــــلي وما شبِعا

أصبحتُ لا أشتهي الطعامَ ولا يَحمَدُ جنبي إليَّ مضطجَعـــا

قلبي من اليأس حين حلَّ به أُحـــسُّ يا وردُ أنه انصدعـا

لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولـقد كـــان بما حَمَّلوه مضطلِعـــا

المتمني بالــعيش منتــفِعٌ ولن ترى يـــــائسًا به انتفعا

القدرُ اليومَ والقضاءُ على حربـكَ قيس وحربيَ اجتمعا

# الفصل الخامس

(مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حي بني عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحي يهيلون عليه التراب ويضعون الأحجار، ومن حوله كثير من رجال الحي وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدي وورد وكلهم باك أو حزين - يبدأ المشيعون في الانصراف، وهم يعزون المهدي ويصافحونه واحدًا بعد واحد ويمرون على ورد مرورًا)

**معز :**

**إنا لله أبا ليلى**

**آخر :**

**صبرٌ أبا ليلى جميل**

(في أثناء انصرافهم يمر رجل في الطريق فيسأل صبيًّا من صبيان الحي في ناحية)

المار :

قبرُ مَنْ يا صبي؟

الصبي :

قبرُها يا أبي

المار :

إمرأةٌ؟

الصبي :

نعم

المار :

ومَن تكونُ؟

(الصبي مشيرًا إلى المهدي)

بنتُ ذا الرجلْ

لَيلى ابنةُ المهدِي ألستَ من نجدِ؟

صبي آخر :

أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفّ لها لَحْدُ

وذا الشيخ أبو ليلى وذا صاحبُها وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

المار :

**وقيسٌ!**

الصبي :

**لم يجئْ بعدُ**

(يقترب الرجل من المهدي فيعزيه)

المار :

**مَهديُّ أجملْ جزعًا**

معز :

**يا أبا ليلى جَمالَكْ**

آخر :

**عَزاءً أبا ليلى**

آخر :

**عَزاءً أبا ليلى**

آخر :

**صبرٌ أبا ليلى جميل**

صديق من أصدقاء ورد (هامسًا إليه) :

لقد أحسنتَ يا وردُ ... ومـا للناس إحسان
يُعـزُّون أبـا ليـلى ... ومـا عـزَّاك إنسـان
بل انظُرْ تَرَهم أقسى ... عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُـه بغضاءٌ ... وفي الأعْين عُـدوان

ورد :

مهلًا أخي وانظُرْ إلى ... الـنـاس بعين مُنصفِ
هم يأخذون مـا بدا ... ويتركـون مـا خفِي
ظنُّ الجماعات فيَّ سوءٌ ... ورأيُهم فيَّ مـا أصابا
يَرَوْن أنى عـدُوُّ قيسٍ ... أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدتُ نفسيْهما شقـاءً ... وزدتُ قلبيْهِمَا عـذابا
ليسألِ الناس قبر ليلى ... فـإن في قبرهـا الجوابا

(يلتفت إلى المهدي بعد أن يعزيه آخر معز)

تجمَّلْ أبا ليلى

المهدي (مصافحًا إياه) :

تجمَّـلت طـاقـتي
ولستُ بخوَّارٍ قليل التجلُّدِ

حَمَلْتُ فُضولَ النـــاس يــا وردُ حِقْبَةً
إذا قمتُ من بــاغٍ عَثَـرتُ بِمُعْتَدِ
يَعيشون في عـرضي فمن كـــل مِعوَلٍ
ومـن كل مِقراضٍ ومن كل مبرِد
وهـــذا يحيِّيني ويقــطـــعُ فَـــرْوَتي
وهـــذا يُفَدِّيني ويهدمُ ســؤدَدي
ويــا وردُ لـــو لم تُرْخ سترًا على ابنتي
لظلَّتْ بعِرض في الـــبوادي مُبدَّد
حَفِظتَ ابنتي حفظ الشقيق ومُرِّضَتْ
ببيتك تمريض الصـــــغير المُمهَّد
وصيَّرت ليلى في حماكَ وخــدرهـــا
كـــعذراءِ ديْرٍ أو كـــدُمْيَة معبَد
لقد صنتَها يا وردُ فـــاذهـــبْ فما أنا
بناسٍ لك المعروف أو جاحد اليد
وليلى فتـــــاةٌ حُـــرةٌ بنتُ حـــرَّةٍ
أحبَّتْ غـــلامًا سيِّدًا وابـــنَ سيِّد
وأعلمُ أني كنتُ حـــربَ هـــواهُمـــا
وكنتُ مـــع الواشي وعَوْنَ المفنِّد

(يلتفت إلى القبر باكيًا)

**بظل الله يا ليلى**

**ورد :**

**وفي بحبوحة الخُلْدِ**

**وهذا نَجْدُ يا ليلى فنامي في ثرى نجدِ**

(يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر الغريض المغني والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد)

**الغريض :**

**دنا الحيُّ يابن سَعيدٍ وثمَّ**

**ابن سعيد :**

**وما ثَمَّ؟**

**الغريض :**

**أُنظر يُجبْك النظرْ**

**ابن سعيد :**

**قبورٌ؟**

الغريض :

أجل عارضتْنا القبور وعما قليل نُجيزُ الحُفَرْ

ابن سعيد :

وهل نحن إلا على حُفْرَةٍ هي الأرضُ أو هي قبر البشر

محجَّبـةٌ بغـرور الحيـاة يراهـا إذا غرغـر المحتـضَر

غريضُ: بصُرت بقبرٍ جديد

الغريض :

وماذا سوى الموت في ذا العَفَرْ؟

ابن سعيد :

أخٌ كان يملأُ أمسِ الهـــواء ويحيا الحيـاةَ ويجري العُمُر

نزيلٌ لعمري غريبُ الغِطَاءِ غريبُ الوِطاءِ غريبُ الحُجَرْ

لـدى منزلٍ كبيوتِ الكِرَاء مـرارًا خـلا ومـرارًا عَمَرْ

يُزارُ كثيرًا فـدون الكثير فغِبًّا فيُنسى كـأن لـم يُزَرْ

وليـس بنافعـه الواصلـون وليـس بضـائره من هجَر

فيا مَيْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ وحيَّاكَ في الفَتراتِ المطـر

وَأمسِ كعادٍ وإن كان منك مُطيفَ الخيال قريبَ الصُّوَر

لقد نفض الليلُ منك اليدينِ وأدرك فيـــك النهـارُ الوَطَر
وأمسيتَ تحت لواء التراب قهـرتَ القضاء ودِنت القدر
تلفَّتْ وراءكَ أيــن الغرورُ وأيــن الســرورُ وأين الأشَر
وأيـن معَـالِمُ عُـرْسِ الحياة وأيـــن سنـــا ليلـــه المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ ضَحوكُ العشِيَّاتِ طَلْقُ البُكَرِ
وأين العداواتُ من ســافرٍ مُبينٍ ومـن كـــاشحٍ مُستتر
وأين المودَّاتُ مـــن صُحبةٍ كنحـلٍ يَحُمْنَ وأنـــت الزَّهَر
قليلون عند امتناعِ القِطافِ كثيرون عند رجـــاء الثمر
وكم مَن سقيتَ بشَهْدِ الوداد فلم يَجْزِ إلا بصـــابِ الإبر
فذُقْ سِنَةً لا ككلِّ السِّنَـــاتِ ونَمْ ليلةً ما لهـــا من سَحَر
وقُل للصدِيقِ طوَيْنَا الحديثَ وقـــــل للعدوِّ دَفنَّا الخبر
وهيِّئ مكـــانَيْهِمَا في الترابِ فـإن ركـــــــابَهما مُنتظَر

سعد :

أميةُ ماذا ترى في الغريض؟

أمية :

وماذا أرى في أميرِ الطربْ؟

سعد :

لقد علم الناسُ أن الغريض  مُغنِّي الحِجازِ وشادي العربْ

ولكن ...

أمية :

وماذا وراء «ولكن»؟  فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَبْ

سعد :

أُمَيَّ اخفِض الصوتَ لا يسمعَنَّ  فيغضبَ فهو قريبُ الغضب

وأُذْنُ المغـــني تُحـــسُّ النسيمَ  وتسمَعُ في الكأسِ رقصَ الحَبَب

أميَّةُ إني أخـــافُ الغَريضَ  وإن التَطَيُّرَ بي قـــد ذهـــب

أمية :

وأين تَرى الشؤمَ حَولَ الغريض  وكيف؟

سعد :

رُويدَكَ تَدرِ السبب

أليس الغريض «سعد» يَهيجُ البكاءَ

فلو رام دمعَ العروسِ انسكب

ترعرع في بيئةِ النائحاتِ

وعلَّمْنَهُ النَّدبَ حتى نَدَبْ

ينوح بيثربَ آلَ الرسولِ

ويُذْكِي مآتمَ أهلِ الحُسَبْ

أمية :

وأين يدُ الشؤمِ مما ذكـــرتَ وأيَّ بلاءٍ علـــينـــا جَلَبْ

ومـا هـو إلا مُغَنِّـي الحيـاةِ بناحيتيهـا الأسـى والطرب

سعد :

ولكننـا قاصـدو عـــــامرٍ لنقـضيَ حقًّـا لِقيْسٍ وجب

ونسألَ عن عاشقٍ في الديارِ طويل البلاءِ ثقيل الوَصَبْ

ومن زار بالنائحات المريضَ وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

(يتهيأ الغريض للغناء)

هو ذا هـاج شجوُه هـــو ذا يُـرسلُ النَّغَمْ

هاتـفٌ مـن نُواحِـه رنَّ في القـاعِ والأكَـمْ

هـو في كلِّ خاطـر وفـــؤادٍ صَـدَى الألم

أنشودة الغريض :

| | |
|---|---|
| واديَ المـوت سـلامُ | وسـقَى القـاعَ الغمامُ |
| السماءُ القُدْسُ محرابُك | والأرضُ الحـــرامُ |
| أنتَ في الصَّمْتِ مُبينٌ | ومن الصَّمتِ كـلامُ |
| لم يَمتْ أهلُك لـكن | غَشِيَ الليلُ فنـــاموا |

غُيَّبٌ لم نَدر ما صاروا ولا أين أقاموا

(يخرجـون إلى ناحيـة الحـي مـن حيـث يسـمع آخر الأنشـودة ثـم يدخـل مـن الجانـب الآخـر عـلى أثـر اختفائهـم، قيـس وزيـاد)

قيس :

| | |
|---|---|
| جبـلَ التَّوْبَـاد حيَّـاك الحيـا | وسـقى اللهُ صبانـا ورعـى |
| فيكَ ناغينا الهوى في مهـده | ورضَعْنـاه فكنتَ المُرضِعا |
| وحَدَوْنا الشمس في مَغرِبها | وبكَرْنا فسبقنـــا المَطلَعَا |
| وعلى سـفحك عشـنا زمنًا | ورعينا غنمَ الأهـــل معا |
| هـذه الرَّبـوةُ كانـت مَلعبًـا | لشـبابينا وكـــانت مَرْتعـا |
| كم بنيْنا من حصاها أربُعًا | وانثنينا فمحـونا الأربُعـا |
| وخططنا في نقا الرمل فلم | تحفظ الريح ولا الرمل وعى |

لم تَزَلْ ليلى بعيني طفلةً لم تزِد عـــن أمسِ إلا إصبَعا
ما لأحجـــارِكَ صُمًّا كلما هاج بي الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبا فأبتْ أيـــامُه أن ترجِعـــا
قد يهونُ العُمرُ إلا ســاعة وتهونُ الأرضُ إلا مَوْضعـــا

(يظهر بشر قادمًا إلى المقبرة من ناحية الحي)

بشر :

عزاءً قيسُ!

قيس :

مَنْ؟ بشرُ؟

بشر :

أجلْ

قيس :

فيمنْ تُعزِّيني؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أخِّرَ تكفيني

(يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس وحرج الموقف ثم يميل هامسًا إلى زياد)

يجهَـلُ قيـسٌ موتَهـا ولم أخَـــلْ أن يجهلَـهْ
ويْـحَ لـه وويْـحَ لي! مـاذا عسـى أقـولُ لهْ
إن الحبيـــــبَ نعيُه إلى المحـــب مُعضلهْ
إني أخـــاف إن أنا خـــبَّرْتُـــــه أن أقتُلَهْ

قيس :

بشرُ

بشر :

لَبَّيْكَ قيسُ

قيس :

من أين يا بشرُ؟

بشر :

من الحيِّ

قيس :

ما حوادثُ عامرْ؟

كيف أمي يا بشر؟

بشر :

برَّحها الشوق

قيس :

وأهلي ...

بشر :

حنينهم متكاثر

قيس :

ولِداتي من فتيةٍ وعذارى؟

بشر :

كلُّهم شيِّقٌ لعهدك ذاكر

قيس :

كيف بيْتٌ لنا بمدرَجةِ الريح ونادٍ على النجوم وسامِر؟

والنخيلاتُ كيف خلَّفتَها بشر؟

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :

**ومِهاري التي تركتُ صِغارًا؟**

بشر :

**كبِرت قيسُ فهي جُردٌ ضوامر**

قيس :

**عزَّت البيدُ، تُنبتُ السابق الفذَّ وتأتي بفارس وبشاعر!**

(يضطرب بشر)

**ويح بشرٍ ماذا به؟**

بشر :

**قيس**

قيس :

**بشرٌ! أنت في نفسكَ الخفيَّةِ ثائر**

**تُشبِهُ الحزن والبكى نَبراتٌ لك كانت كضاحكات المزاهر**

بشر (إلى نفسه ثم إلى قيس) :

**ربِّ ماذا أُجيب؟ لا شيءَ يا قيس ...**

قيس :

بل الحزنُ في مُحيَّاك ظاهر

ولقد راعني لك اليوم جِدٌّ  من خليعِ العِذار بالأمسِ سادِر

(تغرورق عينا بشر بالدموع)

ما جرى؟ ما الذي أثارك يابنَ العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر؟

بشر :

قيس لا شيءَ

قيس :

بل كتمتَ جليلًا  هذه وَجْمَةُ النَعِيِّ المحاذر!

بشر :

قيس ...

قيس :

لا، لا تَجِمْ ولا تُخْفِ شـــيئًـــا  أنا يا بشرُ بالفجيعةِ شـاعر

خُلْجتْ قبل نلتقي عينيَ اليسرى  ورِيعَ الفــؤادُ روْعةَ طائر

بشر :

أعفِني! أعفِني! بربك ما أنت  على ما أقولُه لك قادر!

**قيس :**

**أماتت؟**

**بشر :**

**أجل قضتْ أمسِ ...**

**قيس** (وهو يغمى عليه) :

**وا ليلاه!**

**بشر :**

**لله ما أشدَّ المقادر!**

(يمضي بشر في سبيله)

**زياد** (مقتربًا في قيس) :

**هو مغمًى عليه ربِّ أَيصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربُّ آخر؟**

(يصحو قيس)

**زياد :**

**تباركتَ يا ربِّ قيسٌ أفاق صحتْ عينُه وصحا المسمعُ!**

**رجَعتَ لنا قيس**

قيس :

هيـــــهـــاتَ هيـــــهـــات! من كان في النَّزْع لا يرجِعُ
لقـد بقِيـتْ خفْقـةٌ في الـسراج سـيلفِظُها ثم لا يسْـطع
زيـادُ غـدًا يلتقـي الموجَعـون وموعِدنـا ذلـك البلقع!

(يشير إلى المقابر)

عرَفتُ القبورَ بعَرْف الرياح ودلَّ على نفسه المـــوْضعُ
كثـكلى تَلمَّـسُ قـبرَ ابنـها إلى القـبر من نفسـها تُدْفع
هداها خيالُ ابنها فـاهتدت وليلى الخيـــالُ الذي أَتبَع
لنـا اللهُ يـا قلـب! ليـلاك لا تجيـبُ وليـلاي لا تسـمع!
فُجِعنا بليلى ولم نك نحسَبُ يا قلبُ أنَّـــــا بها نُفجع

(يقترب إلى القبر باكيًا فيكب وجهه على حجر من أحجاره)

أعينـيَّ هـذا مـكانُ البكـاء وهـذا مسـيلُك يـا أدمُعُ!
هنا جسمُ ليلى هنا رسمُهـا هنا رَمقي في الثرى المودَع
هنـا فـمُ ليـلى الزَّكيُّ الضحو كُ يكـادُ وراء البلى يلمَعُ
هنا سِحرُ جَفنٍ عَفـاه الترابُ وكـان الرُّقَى فيه لا تنفع
هنا من شبابي كتابٌ طـواه وليس بنـــاشره البَلْقَع

هنا الحادثاتُ، هنا الأمل الـ حـــلوُ يا ليـــلَ، والألمُ المُمتع
طريدَ المقادير هـل مَن يُجيرُ ك منها سوى الموتِ أو يمنع؟
تَـــذلُّ الحيـــاةُ لسلطانها وللموت سلطـــانُها يخضَعُ
طَريـدَ الحيـاةِ ألا تستقِرُّ ألا تستريـــــحُ، ألا تهجَـع؟
بَلى قـــد بلغتَ إلى مَفزَعٍ وهـــــذا الترابُ هو المَفزَع

(يظهر الأموي شيطانه من بعيد ويناديه)

**الأموي :**

**قيسُ**

**قيس :**

مَن الهاتِفُ من نادَى الشريدَ المُطَّرَحْ

الأموي :

أنا الذي أوْحى إليكَ حُبَّ ليلى واقترَحْ

**قيس :**

إِذهـــــبْ وإن لم أدْرِ رُوحٌ أنت أم أنت شبَحْ
إِذهبْ فلستَ صالحًا وأيُّ شيطـــــانٍ صَلُحْ
كنتَ قرينَ السوء لي وكنتَ شـــرَّ من نَصَحْ

لولاك ما بُحتُ بما خـــــدَّش ليلى وجَرَح
كأنـه في عِرضهـا زيـتٌ على الثوب سَرَح

الأموي :

## أفِقْ قيسُ

قيس :

سِرْ خَلِّنِي يا خيال ومَنْ بالخيال لمن لم يَنَمْ

الأموي :

حَنانَيْكَ قيسُ أقِـلَّ العتابَ ولا تَسكبنَّ دمـــوعَ النـــدمْ
تفرَّدْتَ بـــالألم العبقريِّ وأنبغُ مـا في الحيـــاة الألم
مُريبُك يا قيسُ فوق التراب وأنت مـــع النَّجمِ فوق التُّهَمْ
أخذتَ سبيلَك نحو الخلود وليـــس الخلودُ سبيلَ الأُمَمْ
قُـم اهتِف بليلى وشَبِّبْ بهـا وخَـــلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم
وطِرْ في الهـواء طليقَ الجَناح وســـرْ في الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ النـاسُ خَلَّوْكُما كتَرْكِ الـــوفـــود حَمامَ الحَرَمْ
قم ابسُطْ جناحَك فوقَ القِفار وطِرْ في الوهاد، وقَعْ في الأكم
وأترِعْ من الـــوتر العبقريِّ سَماءَ القصـــور وأرضَ الخِيَم

وألِّفْ على الحب شتَّى القلوب وأرســـلْ بسرِّ الجمال النغم
تَغَنَّ بليلى وبُـــحْ بالـــغرام وبُثَّ الصبابةَ واشكُ السَّقم
فلا خيرَ في الحب حتى يَذيـعَ ولا خيرَ في الـزهر حتى ينِمْ

قيس :

أقوم؟ ... هات قدَما
أقول؟ ... أعطني فما
أما تراني هيكلًا محطَّمًا مُهَدَّمَا!

(يختفي الشيطان ويستمر قيس)

يا رَبَّ قيس هل نعيتُ وهل جرتْ كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ
أوْ لا فما بالي أنوءُ بهيكـــل للموت فيه وللحيــاة صِراع؟
اليـومَ آذننـا القضاءُ بحكمه مـــا لي ولا لك يا حياةُ دفاع
راجعت في الموت الحياةَ وعادني في النزْع يا ليـــلى إليـك نِزاع
كيفَ الوَداعُ من الحياة ولم يُتَحْ ليَ منك يا ليلى الغـــداةَ وَداع
هيهات لم تعدِمْ شذاكِ قرارة حـــولي ولم يَعدِمْ سناكِ يَفاع
وعلى سماء البيد منكِ بشاشةٌ وعلى رمـال البيد منكِ شُعاع
وكأن كل ضبابةٍ دون الضحى قسَماتُ وجهــك دونهنَّ قناع

(يمر به ظبي سارح فيتأمله قليلًا ويناجيه)

**يا ظبي بَكِّ مـن افتـــداكَ بمالِـــه**

**إذ أنت عـــانٍ تُشترَى وتُبـــــاع**

**وأباح طفلك مـــاءَه وطعـــامَه**

**إذ هـــــنَّ عَطْشَى بالفَلاة جيـــاع**

**يا قـــاعُ كـــــن نعشي وكـــن**

**كفَني وكن قبري وقُمْ في مأتمي يا قاع**

**واجمَعْ لتشييعي الظِّبَاءَ، ومَـنْ رأى**

**ميْتًا بأســـراب الظبـــاء يُشاع**

**أتُرى أمـــوتُ كما حييت مُشرَّدًا**

**لا الأهـــلُ من حـــولي ولا الأتباعُ**

**وأبيتُ وحدي لا الوحوشُ أوانسٌ**

**حـــولي هنـــاك ولا الظباءُ رِتاع؟**

(تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعًا باكيًا)

زياد :

قيسُ لا بأسَ عليكْ أنا ذا بين يديْكْ

قيس :

نفسُ اطمئني الآن لستُ وحدي قد حضَر الذي يَخُطُّ لحدي

ويُـــــرشِـــدُ الحيَّ إليَّ بَعدي زيـــادُ أنتَ المُشْفِق المُفَدَّي

لم أنفرِدْ إلا رُئيتَ عندي

(يتبين شبح ابن ذريح)

زيـادُ مـا ذاك منـذا يبكـي وراءَ الضريـحِ

إني أغـارُ على القبر مـن غريبِ الجُـروحِ

زياد :

لا تخشَ يا قيسُ منه فإنه ابنُ ذَريحِ

ابن ذريح :

يـــا ليلَ قبرُك رَبـــوةُ الخُلْدِ نفَـحَ النعيمُ بهـا ثرى نجدِ

في كـل ناحيةٍ أرى مَلَكًـــا يتنفـسون تنفُّسَ الـــورد

لبِسُوا الجُمَانَ الرَّطْبَ أجنحةً وتنـــاثروا كتنـــاثُر العِقد

وتقـــابلـــوا فعلى تحيَّتهم مِسْـــكُ السلام وعَنبرُ الرد

وكأن نجواهـــم وسُبحَتَهم صَوْبُ الغمامة أو صَدَى الرعد
نفحاتُ طِيبٍ ههنـــا وهنـا مـــا للرياض بهن من عهـــد
يا قيـــسُ صبرًا ههنـا مَلَكٌ ذِبْـــحُ الصبابة مُشهَدُ الوجد
أُصحُ انتبِهْ واطرَحْ بعينك في بَهَج السماءِ وحُسْنِ مـــا تبدي

قيس :

أين السماءُ وأيـــن مُحتَضَرٌ طلَعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد
السـهدُ عذَّبني وذي سِـنةٌ أجِدُ الشـفاءَ بها من السُّـهد
ولقد أقـــولُ لمن يُبَشِّرُنِي بالخُـلْد ما أنا داخلٌ وحدي
لـــو أن ليلى في النعيم معي أو في الجحيم تساويا عندي
ليلى النعيمُ وقد ظفِرت بها فـــاليوم نرقُدُ في ثرى نجد
إني أحـــبُّ وإن شقِيتُ به وطني وأوثِرهُ على الخُـــلد

(يسمع صوتًا ضئيلًا كأنما هو خارج من القبر)

الصوت :

قيس

قيس :

مَن الصوتُ ويحي أبي سِحرُ

**الصوت :**

**قيس**

**قيس :**

**زياد اسمعْ وأصغِ يا بِشرُ**

**الصوت :**

**قيس**

**قيس :**

**سمعتُ اسمي يلفِظُه القبرُ**

**الصوت :**

**قيس**

**قيس :**

**تناديني من قبرها باسمي**

**لبَّيْكِ يا ليلى بالروح والجسم**

(يدخل في دور الاحتضار الأخير)

**هل أسا الموتُ جِراحيْنا وهل قرَّب الدارَ وهل لمَّ الشتاتْ؟**

أصوات :

قيس، ليلى

قيس :

رَنَّةٌ في أُذُني ردَّدتْ قيـسَ وليلى الفلَواتْ

نحن في الدنيا وإن لم ترَنا لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ ماتْ

# الفهرس


تمهيـــد ..... 5

الفصـــل الأول ..... 7

الفصـــل الثـــاني ..... 37

الفصل الثالـــث ..... 54

الفصـــل الرابـــع ..... 89

المنظـــر الأول ..... 89

المنظـــر الثـــاني ..... 109

الفصل الخامـــس ..... 128

الفهـــرس ..... 154